533

٥٣٣

HARLEQUIN
دار م. النحاس

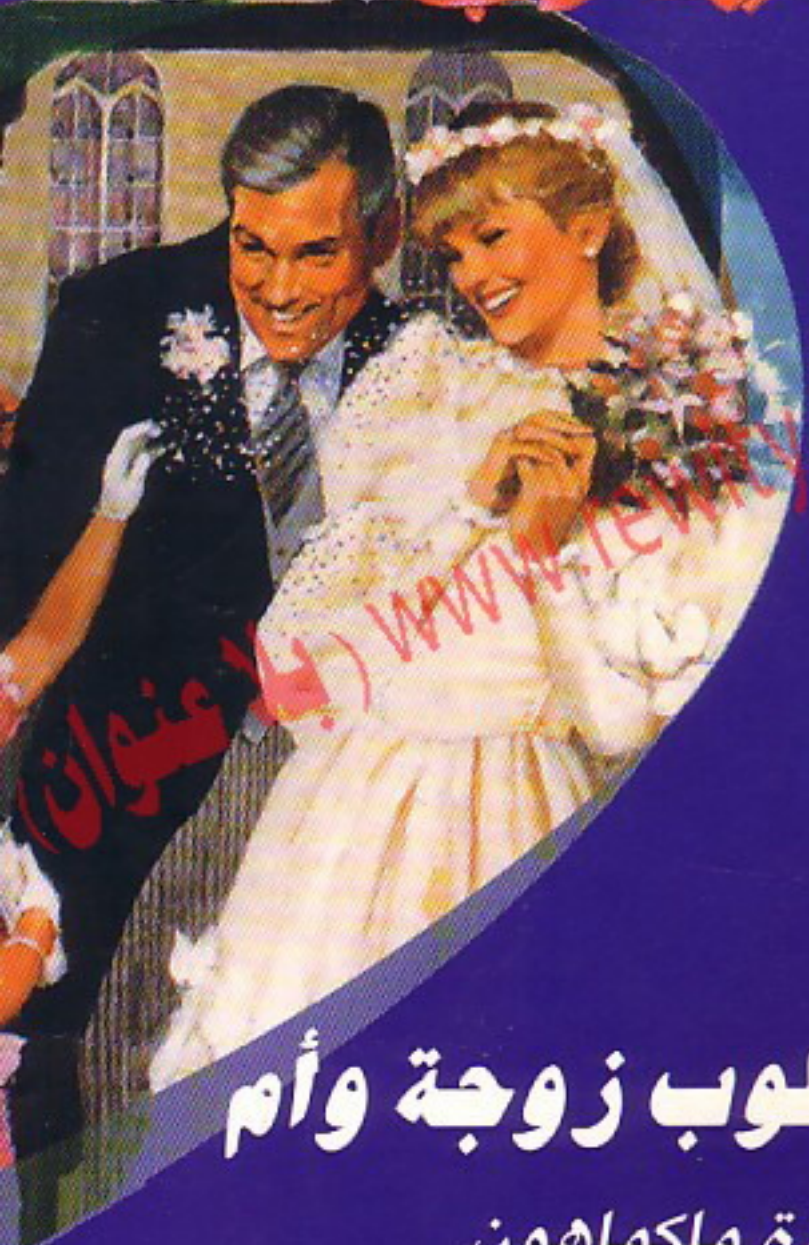

عبير

www.rewayti.com (بلا عنوان)

مطلوب زوجة وأم

بربارة ماكماهون

www.rewayti.net

مطلوب زوجة وأم

بربارة ماكماهون

عزيزتي الآنسة إيفانز.

لقد أكد لي محامي عمتي بأن أفضل حل للمشكلة التي تواجهنا هي أن نتزوج...

كان نيكولاس سيلفرمان بحاجة إلى أم لإبنة أخيه اليتيمة، وكارولين بحاجة إلى المال للإنفاق على علاج جدتها في المستشفى، لم يكن هذا زواجاً عادياً، بطبيعة الحال، ولكن كان عليه أن ينجح... لأجل الطفلة أماندا. ولكن، بينما كانت كارولين، الفتاة القادمة من تكساس، تعرف الكثير عن مزارع الماشية، فما كانت تعرفه عن راعي البقر الجذاب القادم من المناطق النائية في استراليا كان قليلاً جداً. ولكنها في طريقها إلى المعرفة.

www.rewayti.net

«عليك أن تعلمي، منذ الآن، أنني لا اثق بالحب، لهذا لا أريدك أن تنتظري مني الأزهار والحلوى.»

وتابع ألبرت كلامه وهو ينظر في عينيها بثبات: «مادمنا نتذكر هذا على الدوام، فسنتمكن من السير قدماً في هذا الأمر، وبعد ذلك، كل شيء سيسير في طريق النجاح.»

فردت عليه بحدة: «يبدو لي أنك تريد أكثر من مجرد السير قدماً.»

فاتكأ على المائدة وهو يقول: «ان اسرتي لم تتعود دوام الزواج بين افرادها. انما أنا أريد أن يدوم هذا الزواج. مفهوم؟»

www.rewity.com
www.rewayti.net

بربارة ماكماهون

تعيش بربارة ماكماهون في منطقة سان فرانسيسكوباي مع زوجها وابنتها المراهقة واربعة قطط.

تعمل لدى شركة كمبيوتر وتكتب في فترات بعد الظهر وفي عطلة الأسبوع. حبها للقصص الرومانسية والنهايات السعيدة ادت إلى رغبتها الشديدة لكتابة القصص، كما تحب أن تقرأها هي بنفسها. في أيامها الأولى عندما سافرت عبر شركة طيران عالمية، زارت أماكن استوائية عديدة، وهي الآن تصف هذه الأماكن في قصصها. من هواياتها القراءة، التزلج والكتابة.

www.rewayti.net

تمهيد

عزيزتي الآنسة آرثر،

لا شك أن محامي عمتي قد احاطك علماً بموضوع هذه الرسالة، فهو قد أكد لي بأن افضل حل للمشكلة التي تواجهنا هي أن نتزوج. لم يسبق لي أن علمت بالشروط التي تحتويها وصية عمتي كاثرين ولكن محاميها أوضح لي بأن تلك الشروط هي قانونية تماماً. إن ربط اشتراكنا بالميراث بأن يتزوج احدنا الآخر خلال سنة، هو شيء أقل ما يوصف به هو أنه مريع. وبالنسبة إلى نفوري شخصياً من فكرة الزواج، فأنا اكثر اشمئزازاً من هذا القيد مما لا بد أن تكوني أنت. وقد اقترح محاميها علينا أن ننظر إلى هذا الزواج، في حالة قبولنا بشروط الوصية تلك، ننظر إليه بمثل الجد والدقة التي ننظر فيها إلى أي إجراء عملي آخر. وقد استحثنا أن نبدأ بالخطوات الضرورية لإتمام هذه القضية.

إنني اعلم أنه تحدث إليك في الأمر. وأنا هنا اكتب اليك لكي أتأكد، في حالة قبولك هذا الاقتراح، من أن محامي عمتي لم يضللك فإن مزرعة راوستين للمواشي هي مزرعة نائية في اعماق استراليا، واعمالنا ناجحة تماماً، والمزرعة تحتوي على كل أسباب الراحة. وعلى كل حال، فإن اقرب مدينة إلينا لا تبعد عنا اكثر من ساعة بالسيارة. لقد كانت عمتي تكثر من ذكر جدتك، صديقتها العزيزة، في

www.rewayti.net

رسائلها، وقد اخبرتنا كيف أن مزارع المواشي في مناطق تكساس المجدبة هي مماثلة لمزارعنا، مما لا بد يجعل لديك فكرة عن الحال هنا.

لقد توفي أخي وزوجته منذ ستة شهور. وقد أخذت طفلته سارة للعناية بها منذ ذلك الحين، وهي لم تبلغ الثانية بعد. وجداها يطالبان بحضانتها. ولكنني أريد أن تنشأ الطفلة هنا في المزرعة، وأنا على استعداد للقيام بكل ما يجعلها سعيدة في حياتها معي. وإذا كان امتلاك نصف ميراث العمة كاثرين شيئاً مجدياً، فإن ما يهمني اكثر هو أن احصل على زوجة وعلى أم لسارة.

بالنسبة لترتيب عملي لهذا، الحب ليس مطلوباً، ولكنني أصر على الحب لسارة. فهي في أشد الحاجة إلى عناية امرأة. ومقابل ولائك لأسرتي اتكفل لك بمنزل مستقر طيلة حياتك.

اكتبي إليّ إذا كنت موافقة على كل هذه الترتيبات فالوقت ضيق. وإذا كان جوابك بالموافقة، فسأقوم بالترتيبات اللازمة.

www.rewayti.net

الفصل الأول

أخذت ستيفاني تفكر بذعر، وقلبها يخفق، أنها مازالت غير مستعدة. كانت تنزل من الطائرة الصغيرة ذات المروحتين ليستقبلها نهار استرالي متألق. أخذت تجيل بصرها في الأرض والفضاء التي تحيط بالمطار الصغير بينما ترامت وراءها مدينة صغيرة. وبللت شفتيها بلسانها وهي تشعر بخفقات قلبها تتعالى. ما الذي تفعله هنا في مدينة اديلايد في المنطقة الشمالية؟ هل فقدت عقلها؟ ولكن، أترى فات الأوان لتغيير رأيها؟

ورفعت يدها تسوي من شعرها الأشقر العسلي والذي ينحدر إلى كتفيها، وقد اتسعت عيناها الزرقاوان، كما أدهشها أن تشعر بأصابعها ترتجف. فأخذت تتنفس بعنف وهي تعود فتنظر حولها مرة أخرى وكأنما تلتمس مهرباً في هذه المناظر المجدبة. ما كان لها أن تستجيب لذلك. وفي الواقع، ما هو الخيار الذي كان أمامها؟ إن شيئاً لم يتغير. كان عليها طبعاً أن تستجيب، فهذا مجرد إجراء عملي محض وغاية في البساطة، وهي في أشد الحاجة إلى المال لأجل جدتها.

ومشت إلى حيث يقوم مركز التوصيل الكهربائي تنشد شيئاً من الظل يقيها من أشعة الشمس، مجتازة رجلاً كان يستند إلى جدار المركز، دون أن تلقي عليه نظرة، فقد كانت أفكارها تبعد عنه آلاف الأميال. وتساءلت متى سيأتي أحد

www.rewayti.net

ما لأخذها، وإلى متى بامكانها أن تحتفظ بهدوء أعصابها.

وجاءها صوت قوي من خلف كتفها اليمنى يسأل: «ستيفاني آرثر؟»

استدارت لتجد ذلك الرجل الطويل القامة المتين البنية الذي كان مستنداً إلى ذلك الجدار القديم، لتجده يمعن النظر فيها من تحت حافة قبعته العريضة. فأخذت تتأمل كتفيه العريضتين، وعنقه البارز من خلال فتحة قميصه الأزرق. ونظرت إلى ذراعيه المفتولتين المعقودتين فوق صدره، وقد رفع كمّي قميصه، وساقيه الطويلتين في البنطال الذي علاه الغبار، ثم عادت فرفعت بصرها لتلتقيا بعينيه، ومن ثم شعرت بالدوار يتملكها.

سألها: «هل انت ستيفاني آرثر؟»

أجابت وهي تتقدم فتقف أمامه: «نعم، أنا ستيفاني آرثر.» شعرت فجأة بالسرور لارتدائها ذلك البنطال الكحلي اللون والقميص الأبيض ذا الكشاكش، ما أسبغ على مظهرها لمسة أنوثية، وبالسرور لتسريح شعرها قبل نزولها من الطائرة... فانسدل في تجعدات طبيعية حول كتفيها.

فقال بلهجة متكاسلة: «إنني ألبرت دوغلاس. لم أكن واثقاً من حضورك.»

فنظرت ستيفاني في عينيه الرماديتين الصافيتين، ولون بشرته الذي لوحته شمس استراليا فأصبح برونزياً. لقد فتنها للتو تألق عينيه وسمرة وجهه وسواد شعره، وكان صوته عميقاً قوياً رائعاً بلهجته الاسترالية.

وتساءلت ستيفاني، للحظة قصيرة، عما إذا كان فاتها شيء لم تلحظه. وهزت رأسها تدفع بذلك، الاضطراب الذي

اعتراها. هل هذا هو ألبرت دوغلاس؟ هذا الرجل الصلب الحازم الواثق من نفسه الذي يقف أمامها، والذي ينضح قوة وجاذبية؟ لم يكن كما تصورته قط. لقد كانت عمته على صواب وهي تخبرها أنه حسن المظهر... لقد كان رائعاً حقاً.

فقالت تجيبه بذهن مشتت: «ولكنني سبق أن قلت بأنني سأحضر.»

مدّ يده إليها ليصافحها، فترددت لحظة قبل أن تمسك يده القوية. وكانت أصابعه متينة صلبة دافئة. تدافعت خفقات قلبها، وتراجعت خطوة إلى الوراء بعصبية. وكادت تجذب يدها من يده وتفر هاربة، هاربة من تلك المغناطيسية المنبثقة من عينيه، وتلك الجاذبية التي لم تتوقعها، حتى مع مايكل، لم تكن تشعر بنفسها أنثى، كما أنها لم يسبق أن تأثرت بوسامة رجل من قبل. لا يمكن أبداً أن تتزوج هذا الرجل، فهو سيسيطر عليها في غضون ساعة واحدة.

مع أنها كانت طويلة القامة، فقد كان ألبرت دوغلاس يزيدها طولاً بكثير. لقد كان طوله فوق الستة أقدام، ولم يكن عرض كتفيه ليقلل من طوله هذا. وكانت قبعته القش تكاد تغطي نصف وجهه تظلله من أشعة الشمس.

ولكن كان بامكانها أن ترى عينيه، تتأملانها بإمعان، ما أرسل في كيانها رجفة غريبة.

لقد داخلها الخوف عندما التقت عيناها بعينيه، وساورها الاضطراب. وأخذ هو يمعن النظر فيها بعينين ضيقتين فتمنت لو كانت مرتدية ثوباً وليس بنطالاً. وأنها أحسنت زينة وجهها هذا الصباح.

www.rewayti.net

قال لها بينما كان يتأملها باهتمام: «إنك لست كما توقعت.» ودون أن تظهر عليه أي إشارة إلى نوع تفكيره، استقام في وقفته، واستدار متجهاً نحو الطائرة بخطوات متراخية متعجرفة وكأنه يملك المنطقة بأكملها، وهو يقول: «سنأخذ أمتعتك ثم نتناول بعض الطعام. مازال أمامنا ساعة أخرى قبل أن نصل إلى البيت.»

تبعته ستيفاني وهي تتمنى لو كانت وضعت نظارات شمسية تظلل عينيها من أشعة شمس الظهيرة القوية، كما تحميها نوعاً ما من نظرات هذا الرجل النفاذة. وأسرعت في خطواتها لكي تلحق به.

وجدت نفسها تسأله: «وما الذي كنت تتوقعه؟»

أتراه أصيب بخيبة أمل؟ وأنه سيغير رأيه ويبطل اتفاقهما؟ أم مازال مهتماً بمتابعة الأمر؟

أتراها حماقة منهما أن يعقدا زواجاً يقوم على المصلحة المادية في عصر كهذا؟ وهل يتوقع منها أحد أن تستمر في الطريق؟ ولكنها، مع ذلك، لم تشأ له أن يغير رأيه.

فهز كتفيه وهو يسحب من خلف الطائرة حقائبها، ثم يجيبها عابساً: «لم أتوقع أن أجدك بهذا الجمال.»

فتملكتها الدهشة، ولم يبد عليه أنه لاحظ انعقاد لسانها كفتاة صغيرة وهو يتجه بها نحو شاحنة صدئة مغبرة. أكان هذا مديحاً لها؟ لم يكن يبدو أن هذه الحقيقة أعجبته. ولاحظ ترددها وهو يشير نحو العربة، فقال: «لسوء الحظ، من الصعب المحافظة على نظافة أي شيء عندما تهب عواصف الغبار، لهذا استعمل هذه في أنحاء المزرعة وعلى الطرقات. ولهذا

تبدو لك في أسوأ مظاهرها، ولكنها نظيفة في الداخل.»

فأومأت موافقة وهي تنظر إليه يلقي بحقائبها بكل سهولة، في الخلف من الشاحنة، متسائلة عما إذا كان يسأل نفسه الآن عما جعله يرسل إلى آخر العالم طالباً عروساً لم يسبق له أن رآها قط. ذلك أنها، حسب ما رأت منه، قد أدركت أن بامكانه الحصول على زوجة بكل سهولة. بل إن الصعوبة هي في أن يتمكن من إبعاد النساء عنه.

كان شكله مليئاً بالحيوية، وتصرفاته واثقة حازمة، ربما سيغير رأيه بعد أن رآها. وتمنت بكل لهفة أن لا يحدث هذا، إنما لم يكن لحصتها في الميراث أثر في هذه اللهفة. وساعدها على الصعود إلى الشاحنة، وعندما صعد هو إلى مقعده، استدار يتفرس فيها، فبادلته نظراته برصانة كي لا يلحظ الحرارة التي سرت في كيانها أو تسارع خفقات قلبها، وقال لها: «هنالك مكان صغير لطيف هنا في المدينة يقدم الطعام. سنتناول الغداء فيه بينما نتحدث عن أمورنا قبل أن نتوجه إلى المزرعة.»

فقالت: «هذا جميل يا... ألبرت.» وسرّها الطريقة العفوية التي نطقت فيه باسمه، وأن صوتها لم يتهدج فيفضح توترها. كانت خائفة من أن تتحطم آمالها. لم تكن تريده أن يدرك مقدار ما تشعر به من ارتباك، ولا عدم الثقة بالنفس المفاجيء الذي تملكها، وكل ما يعتمل في نفسها.

التوت شفتاه بنصف ابتسامة وهو يتحرك بالسيارة. لقد أدرك ما يعتمل في نفسها.

أخذت تنظر حولها بلهفة، والسيارة تمر بهما في شوارع المدينة، مستمتعة بكل ما تراه. كان هنالك شارع واحد

www.rewayti.net

رئيسي ذو رصيفين، ولكن التراب كان من الكثافة بحيث بدا كطريق قذر. وكان يحد الشارع عدة محلات ومتاجر، كما كان هناك عدد قليل من المارة، ومتجران كبيران بطابقين يحتلان بناية بأكملها. ولمحت عدة بيوت إلى جانبي الشارع أضفت عليه الحدائق التي تحيط بها ألواناً بهيجة. وبالاجمال، كانت اديلايد مجرد مدينة صغيرة عادية.

أوقف ألبرت العربة أمام مقهى صغير يدعى شتراوس، وكان ممتلئاً تقريباً بالزبائن، ما عدا مائدة أو اثنتين، فاتجه بها إلى واحدة منهما في مؤخرة المكان حيث يمكنهما أن يكونا على انفراد نوعاً ما. وكان أثناء مروره يحني رأسه للبعض، ويرد تحية البعض الآخر دون أن يتوقف ليتكلم معهم أو يقدمها إليهم.

وعندما استقر بهما المقام، أخذت ستيفاني تتفحص المكان حولها، وقد انسدل شعرها الأشقر على وجنتيها يبعد عنها نظرات ألبرت التي كانت تحدث فيها تأثيراً لم تحدثه نظرات رجل آخر من قبل. كانت تريد أن تجد فرصة تتنفس فيها.

وجاء نادل ليسجل طلباتهما حيث أخذ ألبرت يثرثر معه بعض الوقت، كما أنه لم يقدمها إليه ما قوى من اعتقاد ستيفاني بأنه غير رأيه بالنسبة إليها، ذلك أن الناس لن تثرثر فيما لو أعادها إلى بلدها دون أن يعرفها أحد أو يعرف سبب مجيئها.

ونظرت إليه وهو يبلغ النادل ما يريدان، وهي تتساءل عما إذا كان قد أخبر الناس بأمرهما، أترى يعلم الجميع أنه أرسل إلى أميركا يطلب عروساً لم يسبق أن عرفها من قبل؟

وكان هو، في هذه الأثناء، يطلب من النادل أن يحضر لهما فطائر باللحم وبطاطا مقلية، وذلك دون أن يأخذ رأيها في ما تريد أن تأكل.

فرمقته بنظرة حادة وهي تتساءل عما إذا كان يتصرف دوماً بمثل هذه الثقة بالنفس وبالآخرين. إذا كان الأمر كذلك، فما الذي جعله يقبل بمثل هذا الزواج المدبر، حتى ولو كان زواج مصلحة؟ إنه لا يبدو من أولئك الرجال الذين يجعلهم الآخرون يقومون بشيء لا يريدونه هم.

وعاد النادل بأطباق الطعام بسرعة، وكانت هي تشعر بالسرور للصمت الذي ساد بينهما، فصممت على أن لا تكون البادئة باختراقه.

وعندما أخذا في تناول الطعام، سألها ألبرت: «هل كانت رحلتك مريحة؟»

فرفعت نظراتها إليه، شاعرة بتأثير شخصيته الطاغية. لم يؤثر عليها رجل من قبل بمثل هذه القوة. وسحبت نفساً عميقاً في محاولة لامتلاك أعصابها. لقد اختارت بنفسها هذا الوضع وستستمر فيه ولو كان في ذلك هلاكها.

وأجابته قائلة: «نعم، شكراً. وشكراً لك لارسالك لي تذكرة السفر.» واعتدلت في جلستها وهي تنظر إليه مفكرة وقد سرها أن وجدت صوتها هادئاً قوياً.

فأومأ برأسه وهو يحدق فيها قائلاً وقد ضاقت عيناه: «إن الوضع محرج، أليس كذلك؟»

فاحمرت وجنتاها، ولكنها لم تشأ أن تتظاهر بعدم الفهم، فأجابت: «نعم... إنني غير واثقة...»

فقاطعها قائلاً: «إنني أنا أيضاً لست واثقاً تماماً في

www.rewayti.net

الواقع. كنت أظن أن الأميركيين يتصفون بشخصية بالغة الاستقلال، ومع هذا أراك مستعدة للزواج من رجل حال اللقاء به.»

فأدارت بصرها حولها، لا تعرف بماذا تجيب، فهي لم تتوقع مثل هذا الكلام الصريح، فقد كانت ترجو أن يأتي على ذكر هذا بشيء من الكياسة. وأخيراً، عادت تنظر إليه، ثم قالت: «إنني بحاجة إلى المال الذي سأحصل عليه بالزواج منك. كما أن فكرة كوني أماً لفتاة صغيرة بحاجة إلي، كانت فكرة مغرية تماماً، وقد وضعت في حسابي أنني قد أصادف أشياء غاية في السوء.»

فقال: «آه. إذن، فأنت ترين بأنني لست أفضل من الموت بكثير.»

لم تكن هي تقصد إهانته، فقالت متعلثمة: «أنا... إنني أريد أن أشعر بأن ثمة حاجة إلي.»

فأومأ برأسه وكأنه فهم ما تعنيه، وقال: «إنني وسارة بحاجة إليك فعلاً. إذن، فليست القضية، قضية مال فقط؟» وتضمن سؤاله هنا شيئاً من عدم التصديق.

فقالت: «كلا. رغم أن رفض ذلك المبلغ من المال هو، بصراحة، شيء صعب على أي إنسان.»

وابتسمت بعصبية فبدت على إحدى وجنتيها غمازة جذابة. ثم عادت إلى رصانتها مرة أخرى لتقول: «إن المال ضروري بالنسبة إلي لكي أتابع علاج جدتي. وأعتقد أنني كتبت إليك عن مرضها الشديد.»

فقال: «هذا يفسر العجلة في امتلاك المال. ما هو رأيها في قدومك إلى هنا؟»

فأجابت: «إنها مسرورة لأجلي، فقد كانت وعمتك كاثرين صديقتين حميمتين مدة طويلة، فهي تشعر أنها تعرفك، كما أنها أحبت فكرة أن أكون أماً للطفلة. وقد طلبت مني إرسال صور لها.»

كانت تتحدث شاعرة بالشوق إلى جدتها، ذلك أنها الوحيدة التي عرفت عندها معنى الاستقرار، بعد حياة طويلة حافلة بالتنقل من مكان إلى آخر.

قال لها: «أظن أن علي أن أزيدك معرفة بالوضع.» ومال إلى الخلف وهو يحدق فيها، بينما كان يقول: «إن جدي يعيش معي في المنزل. وعندما مات أخي إدي وزوجته كلير، جاءت إبنتهما الصغيرة سارة لتعيش معنا، وجداها الآخران، والدا كلير، يطالبان الآن بحضانتها. وكان إدي قد طلب مني أن أكون حاضناً لها، وأنا أريد أن أربي إبنته. ولكن الطفلة بحاجة إلى أم. فالمحكمة تطلب لها بيتاً حقيقياً مستقراً، فإذا لم أستطع توفيره لها، فستسلم حضانتها إلى والدي كلير.»

فأومأت برأسها متفهمة. إن لدى ألبرت أسباباً للزواج أكثر من مجرد الحصول على نصف الارث، فقد كان مستقبل الطفلة في خطر. وهذا يجعل زواجهما أقل مادية وبروداً.

وعاد هو يقول: «ولكنني لا أريد حلاً مؤقتاً. فإذا كنت مصممة على الزواج لكي تحصلي على إرثك، ثم تبتعدي، فانسي هذا الأمر. فأنا أريد من يعتني بسارة إلى أن تكبر على الأقل. إنني أريد حلاً دائماً.»

أومأت ستيفاني برأسها وقد اتسعت عيناها فهي لم تبتعد بأفكارها كثيراً إلى ما بعد الزواج، فهو طبعاً يريد

www.rewayti.net

علاقة ثابتة مستقرة لأجل الطفلة، وهي لا تريد أن تعرض الطفلة سارة إلى نفس الحياة القلقة الممزقة التي مرت هي نفسها بها من قبل. وسحبت نفساً عميقاً وهي ترى نفسها تلتزم بهذا الأمر لعشرين سنة على الأقل. وشعرت بنفسها مغلوبة على أمرها، ولكن لم تجد أمامها أي حل آخر تتبعه.

قالت تجيبه: «إنني لم أوافق على القدوم إلى هنا لأتزوج لعدة أيام فقط، ثم أرحل. فقد وضعت كل ما أملكه في الشحن إلى هنا. وحقائبي هذه ما هي إلا جزء منها، فأنا لست هنا لأمضي مدة قصيرة فقط.» كانت تتحدث بحزم وثبات، وقد بان التصميم في عينيها الزرقاوين، ذلك أنها قد كرست مستقبلها في سبيل أن تعين جدتها على الشفاء. وهي ستلتزم بما صممت عليه.

أخذ هو يتفرس فيها لحظة طويلة، كانت نظراته أثناءها تخترق أعماقها، ثم قال: «عندما تزوج إدي من كلير، لم أكن أنا أريد الزواج، فقد فكرت في أنهما سيتكفلان بإنجاب أولاد يرثون الأملاك، ولكن رأيي هذا تغير بعد حادثة السيارة تلك. إن سارة بحاجة إلى امرأة، إلى أم، ولأجلها سأحضر أما.»

فأضافت: «ولأجل المال أيضاً.»

فأجاب متهكماً: «طبعاً، فهو مبلغ أكبر من أن يرده أحد.»

فأومأت برأسها، ذلك أنها عرفت ذلك قبل مجيئها. ليس بالنسبة لجده الذي يعيش معهم، وإنما بالنسبة للبقية، وقالت: «سأحاول جهدي بأن أكون أماً صالحة.»

فتابع وهو ينظر في عينيها مباشرة: «وعليك أن تعلمي، منذ الآن، أنني لا أثق بالحب، فهو من خيالات الشعراء

التافهة. لهذا، لا أرى من العدل أن أتزوج امرأة ربما تهتم بي أكثر مما أهتم أنا بها، إذ تتصور نفسها غارقة في الحب معي، أو أن تتخيل قضاء أمسيات شاعرية معي. إن زواجنا سيكون زواج مصلحة فقط لا غير.»

فعادت تومىء برأسها وهي لا تتمالك نفسها من سؤاله، اذ كانت ماتزال حائرة من ذلك الارث الذي تركته عمته كاثرين له ولها بشرط أن يتزوجا. سألته قائلة: «هل تعرف سبب وضع عمتك لمثل تلك الوصية؟»

فأجاب: «لقد كانت عمتي كاثرين تحب دائماً أن تتوسط في الزواج، حتى في كاليفورنيا. وهكذا كانت زكتك لي إلى درجة بالغة.» وابتسم بشيء من السخرية ثم تابع يقول: «إنني أعلم أنك تحبين الحياة الهادئة، وتعرفين شيئاً عن المواشي بحكم عملك كمحاسبة في مؤسسة لتربية المواشي في كاليفورنيا، وأنك لا تحبين التبذير والاسراف، وأنك طاهية ماهرة وربة منزل قادرة.» وسكت وقد بدا عليه العبوس وهو يرى التعبير الذي بدا على وجه ستيفاني.

كانت تحملق فيه قائلة: «ولكنني لم أتلق تزكية عنك، وأظن من الأفضل أن تذكر صفاتك الجيدة قبل أن نذهب بعيداً في هذا الأمر.»

فقال بصراحة: «إسمعي. دعينا نتحدث بوضوح. ما كنا لنتزوج لولا رغبة عمتي كاثرين. أليس كذلك؟ وهذه الوصية ستحقق شيئاً يرغبه كل منا، نحن الاثنين. فأنت ستحصلين على المال الذي سيساعد في علاج جدتك، وأنا سأحصل على أم لسارة، وطالما نتذكر ذلك، فسنتمكن من إتمام هذه الاتفاقية، وكل شيء بعد ذاك سيسير في طريق النجاح.»

www.rewayti.net

فقالت بحدة: «يبدو لي أنك بذكر دوام هذا الأمر تريد اكثر من مجرد إتمام هذه الاتفاقية. فقد سبق وتحدثت عن حل دائم.»

فانحنى فوق المائدة، وقال: «إن أسرتي لم تتعود زواجاً دائماً بين أفرادها. فجدتي توفيت شابة، وأمي هجرت أبي عندما كان إدي رضيعاً، وكلير تركت إدي قبل أن يقتلا معاً بذلك الحادث. وأنا الآن أريد أن أخالف هذا الاتجاه، فأنا أريد لزواجنا هذا أن يستمر إلى أن يموت أحدنا بعد انتهاء عمره. هل هذا مفهوم؟»

أجابت: «تماماً.» ولكن قشعريرة سرت في كيانها. كانت تريد أن تبقى، ولكن ماذا لو كانت مثل أمها ينقصها الثبات في العلاقات؟ وتابعت تقول: «إنني لن أجعل لك عذراً لانهاء هذه العلاقة، فهل بامكانك التعهد بنفس الشيء؟»

قال: «وأنا بالمثل، لن أجعل لك عذراً لذلك.»

قالت بصوت بدا عذباً رقيقاً بالنسبة إلى لهجته الاسترالية الجافة: «أظن في اجتيازي كل تلك المسافة من كاليفورنيا ما يشكل التزاماً كاملاً مني بهذا الاتفاق.» كانت تريده أن يثق بأنها متمسكة بالناحية العملية من اتفاقهما.

قال: «هذا عظيم، لقد قمت أنا باجراءات الزواج، ويمكننا أن نتزوج عصر هذا اليوم.»

تساءلت عما إذا كان تسارع خفقات قلبها قد أصبح عادة مزمنة عندها، ذلك أنها عادت تتسارع الآن بعد سماعها كلمات ألبرت. صحيح أنها قد تعهدت بالزواج منه وأنه لم يعد ثمة موجب للتأخير، ولكنها كانت قد فكرت بأن لا بد أن يسبق ذلك بضعة أيام تتعرف فيها إليه

أولاً، ولكن، ما هي نتيجة ذلك؟ إنها كانت مصممة، في الواقع على أن لا تتزوج مطلقاً، ولكن ما كان لها أن تغفل هذه الفرصة التي سنحت لها للمساعدة في علاج جدتها، والتي كانت من الأهمية بمكان، ولكنها لم تتوقع مطلقاً أن يكون زواجها حال نزولها من الطائرة. لقد كان يتحدث عن إتمام الزواج بعد دقائق، فلماذا هذه السرعة الفائقة؟

وكأنما لاحظ ترددها وتباطؤها، فرفع حاجبيه متسائلاً: «هل هناك مشكلة؟»

أتراه قرأ أفكارها؟ وهزت رأسها محاولة التظاهر بالهدوء والثقة بالنفس وهي تقول: «ليس ثمة مشكلة، إنها الدهشة فقط لرغبتك في الزواج هذا اليوم. هل استلمت الأوراق التي كنت قد أرسلتها اليك؟» وكان في حقيبتها نسخة من المستند الرسمي.

فأومأ قائلاً: «إن الطريق إلى المزرعة طويل وقد مضى معظم النهار الآن، ولن أتمكن من العودة إلى المدينة قبل فترة.» كان يتكلم وهو يتفرس في وجهها بعينيه الرماديتين.

وتمنت لو أنه لا ينظر إليها بهذا الشكل، فقد شعرت بنفسها ضعيفة عاجزة تحت وطأة نظراته الثاقبة. وفي كل مرة كان ينظر فيها إليها، كانت تشعر وكأنها على وشك أن تفقد توازنها.

وأخيراً، قالت وهي تدفع عنها الشعور بخيبة الأمل إذ تراه لا يريد أن يضحي بيوم عمل في المزرعة يجيء فيه إلى المدينة لأجل العرس، عرسه هو، وقالت: «هذا سبب عملي جيد للزواج هذا اليوم.»

www.rewayti.net

وألقت نظرة على ثياب السفر التي كانت ترتديها، ثم على ثياب العمل التي يرتديها هو. كانت تتوقع أن يكون عرسها كبقية الأعراس. وفكرت في ثوب الزفاف الأبيض الذي اشترته وأحضرته معها، هل عليها أن تذكر ذلك له؟ ربما من الأفضل أن لا تفعل، إذ سيتبادر إلى ذهنه أنها تسعى إلى أن يكون العرس شاعرياً، بينما كان سبق وصارحها باحتقاره لهذه المشاعر.

قال: «إن لدي في المنزل سيارة يمكنك استعمالها متى شئت، يا ستيفاني، فلن تكوني مرتبطة بالمنزل على الدوام، إذا كان هذا ما يقلقك. ولكن ليس لدي وقت يسمح لي بالسفر على الدوام ذهاباً وإياباً إلى هنا، فأنا أدير المزرعة ولا يمكنني الابتعاد عنها مدة طويلة.»

فأجابت: «وأنا لم أتوقع حياة ليلية هنا، فان هذه الاتفاقية بيننا ستستغرق كل وقتي واهتمامي، فلا تقلق لذلك. وأنت كنت صريحاً في رسالتك عما سأتوقعه هنا، وأنا على كل حال لم أتعود على الأضواء والسهرات.»

قال: «إنك لن تجدي ذلك هنا. لقد كانت كلير تزعج إدي بالحاحها على الدوام لكي ينتقل إلى ملبورن، شاكية من أن الحياة في المزرعة نائية تبعث على الملل.»

أتراه يقارنها بكلير؟ وقالت له: «ما كان لك أن تتوقع هذا مني.»

فأجاب: «كلا. ولكن كلير نشأت في ملبورن ما جعلها تفضل الحياة فيها على الحياة في مزرعة المواشي هنا. هل لديك سؤال آخر قبل أن نذهب؟» وكان قد أنهى طعامه وتناول قبعته.

كان لدى ستيفاني ألف سؤال، ولكنها ستجد أجوبتها جميعاً بمرور الوقت. وليس بينها ما ينبغي أن يكون جوابه قبل الزواج... الزواج؟ وسحبت نفساً عميقاً وهي تشعر بفطيرة اللحم كالحجر في معدتها. لقد التزمت بوضعها هذا قبل أن تترك كاليفورنيا. وقد فات الآن أوان العودة عن قرارها ذاك.

وقالت: «ليس لدي أسئلة أخرى. إنني مستعدة.»

بعد ذلك بساعة، كانت ستيفاني تجلس بجانب عريسها الذي اتجه بشاحنته شرقاً في الطريق المزدوج الاتجاه. كان الاحتفال بالزواج قصيراً مختصراً. وألقت نظرة على خاتم الزواج الذهبي الذي يتألق في أصبعها شاعرة بالدهشة لشرائه لها مسبقاً، وكانت دهشتها اكبر أن وجدت قياسه مناسباً لأصبعها. كيف أمكنه أن يعرف؟

لم يكن ذلك الإحتفال ليماثل حفلة الزفاف الفخمة التي كانا، هي ومايكل، قد خططا لها، ولكنها كانت مناسبة لتلك الاتفاقية العملية التي أبرمت بينها وبين ألبرت. ومع أنها لم تكن تتوقع أن يكون الزواج بهذه البساطة وهذه السرعة، إلا أنها أقسمت يمين الزوجية بكل إخلاص، مصممة على أن تكون له زوجة صالحة. لم يكن الزواج هو مبتغاها، لو كان لديها الخيار، ولكنها ستريه أن بالإمكان الركون إليها والاعتماد عليها. لقد ساورها شعور ضئيل بأنها عروس للبيع... ولكن تفكيرها بأن جدتها ستحصل من وراء هذا الزواج على أفضل علاج، جعل الأمر يستحق كل ذلك، وكان عليها أن تشعر بالسرور لحصول هذه الفرصة لها التي ستيسّر لجدتها سبيل الشفاء. فقد كانت ستيفاني تدين

www.rewayti.net

لجدتها بالكثير، وهي سعيدة الآن إذ أصبح بإمكانها أن تسدد بعض فضل جدتها عليها.

وانتقلت عيناها من الخاتم، لتتفرس في الرجل الجالس بجانبها... زوجها. لقد بدا تماماً كما رأته لأول مرة منذ ساعات قليلة... واثقاً من نفسه إلى شيء من الغطرسة. لم يكن يبدو عليه، مثلها هي، وكأن عالمه مال فجأة على محوره. طبعاً لم يحدث هذا بالنسبة إلى ألبرت، ذلك أن حياته لن تستمر كما كانت قبلاً، فقد أصبح عنده الآن من يستلم مسؤولية سارة والمنزل ليبقى هو حراً في تكريس حياته لإدارة المزرعة.

عالمها وحده هو الذي مال. كل شيء فيه قد تغيّر. وأخذت تتساءل عما إذا كانت قد أصابت في قرارها هذا. فقد هجرت كل ما ألفته لكي تبدأ حياة جديدة في استراليا مع رجل غريب. فهل ستتمكن من النجاح معه، أم أنها ستندم على هذا اليوم؟

الفصل الثاني

نقلت بصرها نحو المساحات الشاسعة من الأراضي، شاعرة بالغضب لحماقتها. الزمن وحده هو الذي سيثبت ما إذا كان لاتفاقهما هذا أن يدوم. ولكنها ستبذل كل ما في وسعها للمحافظة على عهدها، والتخلص من كل الأحلام والأوهام التي لم تتضمنها الإتفاقية.

وعندما كانت تحدق في تلك السهول المترامية بذهن شارد، استحضرت إلى ذهنها ذلك الموقف حين تم عقد القران. لقد تلاقت نظراته النارية بنظراتها. وتوهج وجهها شاعرة بالأحاسيس تغمر كيانها. ولكن أليس هذا هو الوضع الذي اختارته لحياتها؟

«إلى أيّ حد تختلف هذه المناظر عن كاليفورنيا؟»

أجفلت إذ سمعته يتكلم فجأة بعد طول صمت، فأدارت عينيها إليه تسأله: «عفوا؟»

فأجاب ببطء وكأنه يتحدث إلى شخص لا يحسن الإنكليزية: «إنني سألتك عن الفرق بين كاليفورنيا وما ترينه هنا.»

فابتدأت تنتبه ببطء إلى الأدغال ذات اللون الأخضر المغبر التي يمران بها، وأشجار المناطق الحارة المنتشرة هنا وهناك. وكان العشب قصيراً جافاً مغبراً.

أجابت باسمة: «إنني أشعر كأنني في موطني، تقريباً. إنني لم اميز انواع الأشجار، ولكن الأدغال مماثلة لما هو عندنا. وكذلك الأعشاب هي نفسها.»

www.rewayti.net

قال: «أظنك ستشعرين وكأنك في موطنك، إذن؟»

فأجابت: «إنه مشابه جداً له. وهذا سيحملني على الإستقرار، فلا أتطلع إلى السكن في المدن مهما كانت الظروف.» أليس هذا ما كان يريد أن يعرفه؟

وعندما اجتازا عموداً حجرياً كان يفصل اميالاً طويلة من الأسلاك الشائكة، قال: «هذا يشير إلى حدود مزرعة راوستين.» فسألته: «كم تبلغ مساحتها؟» لقد بدت لها الأرض هنا مشابهة لتلك التي تحيط بالمدينة رغم تلك التلال المنخفضة التي كانت تبدو لها عن بعد. كيف بإمكان أحد أن يفصل بين املاك واملاك؟

وأجاب ببساطة: «ان لدينا حوالي المئة ألف كيلومتر مربع.»

فاستدارت إليه قائلة بدهشة: «مئة ألف كيلومتر مربع؟ إن هذه مساحة هائلة.» وأخذت تحاول أن تحسب هذه المساحة بالفدادين، ثم تقارنها بمزارع المواشي التي تعرفها في كاليفورنيا. ولكن ذلك أعيا ذهنها.

قال: «إن الجفاف هنا لا يسمح بإرواء نفس العدد من المواشي في الفدان الذي يوجد في مزارع منطقة توملیس، ولهذا فنحن بحاجة إلى أراضٍ اكثر بكثير لتربية الماشية.»

فسألته: «هل كل الأرض بمثل جفافها هنا؟»

أجاب: «نعم، إنما في فصل الجفاف. ولدينا آبار ارتوازية حول الأراضي لتمدنا بالمياه أثناء فصل الجفاف الطويل. وعندنا المطر في فصل الشتاء، كما أن لدينا سدوداً تحفظ المياه قدر المستطاع.»

فعادت تسأله: «كم يوجد من الرجال في المزرعة؟»

فأجاب: «في المنزل يوجد جدي وأنا، بالإضافة إلى إثني عشر من متعهدي الماشية. أربعة منهم ذوو عائلات. ولدينا أيضاً مكانان اصغر حجماً إلى الجنوب من هنا يقيم فيهما مدراء للمراقبة. إن جدي لا يقوم حالياً بكثير من العمل ولكنه يحاول أن يصدر الأوامر إلى الرجال من المنزل. وقد سلمني إدارة الأعمال اليومية منذ عدة سنوات، رغبة منه في أن يتقاعد مبكراً كما يقول إنه فقط يفتش عن عذر لكي يتفرغ لهوايته في اصلاح آلياته، رغم عدم درايته بذلك، دون أن يشغله عن ذلك الاهتمام بالماشية.»

سألته: «وماذا عن والديك؟»

فألقى عليها نظرة وقد بان الجمود على وجهه، وقال: «انني لم أر أمي منذ ثلاثين سنة عندما هجرتنا. وأبي يعيش في ملبورن حيث يعمل في شحن السفن.»

فقالت بسرعة تغير الموضوع بعد أن لاحظت التوتر الذي بدا عليه لدى جوابه الأخير، قالت تسأله: «هل يتوجب عليّ أن اطبخ لكل رجال المزرعة؟» كانت فكرة اعداد الطعام لأكثر من ستة عشر رجلاً كل يوم، هي شيء لا يطاق.

أجاب: «كلا. فالعائلات يأكلون معاً. أما الرجال العازبون فلديهم طاه خاص في سكنهم بعيداً عن منزلنا.»

سألت: «ومن كان يعتني بسارة منذ وفاة والديها؟»

أجاب: «جدي وواحدة من زوجات رجالنا واسمها جودي كمب. ولكن سارة اصبحت تمشي الآن ما يستلزم رعاية حقيقية، بينما لجودي منزلها الذي يشغلها. بالمناسبة، هل تعلمين الكثير عن تربية الأطفال؟» فهزت

www.rewayti.net

رأسها قائلة: «كلا، ولكن بإمكاني أن أتعلم، وقد احضرت معي بعض الكتب لذلك.»

وانطلقت منه شتيمة خافتة وهو يعود إلى النظر إلى الطريق، ثم قال: «كنت أظن أن النساء يعرفن تلقائياً، كل شيء عن تربية الأطفال.»

فأجابت: «لا يعرفن إلا إذا كان لديهن اطفال. أما أنا فلم يكن لديّ فرصة لأتعلم ذلك. ولكن لا تقلق، فسأتعلم ذلك بسرعة.»

قال: «الأفضل أن تتعلمي لأن هذا هو السبب الرئيسي لزواجي بك.»

شعرت بالغضب يغلي في داخلها للهجته هذه التي ذكرتها بأن زواجهما كان خارجاً عن رغبتهما، هما الاثنين، ولكنها قالت بصوت عذب: «ظننتك تزوجتني فقط لأجل ميراث عمتك.»

فقال: «إن الميراث مفيد طبعاً، رغم أن المزرعة كافية لنا تماماً. ولكن السبب الرئيسي هو سارة.»

فقالت: «وهي أيضاً أحد أسباب قبولي الزواج.»

قال: «مع انك بحاجة إلى المال.»

قالت: «هذا صحيح. ولكن جدتي لن تعيش إلى الأبد، حتى ولو تغلبت على مرضها ذاك. بينما سيدوم زواجنا، أنا وأنت، حتى ولو انتهت حاجتنا المباشرة إلى المال. فلا تقلق، فأنا سأكون أماً حانية سارة.»

كان ألبرت الآن قد دخل الطريق المؤدي إلى المنزل، وابتدأت اعصاب ستيفاني في التوتر. هذا إضافة إلى الإرهاق الذي كانت تشعر به. وتاقت إلى الإنفراد بنفسها، فقد

اجتازت احداثاً كثيرة، وبسرعة، وسيحل الليل قبل أن تجد وقتاً تهتم فيه بنفسها. إنها ستتعرف أولاً إلى بقية أسرة ألبرت، وهذا سيستغرق لحظات قليلة تنخرط بعدها في دورها كزوجة لالبرت. وازدردت ريقها بصعوبة، محاولة تمالك اعصابها. إنها زوجة ألبرت، وعليها أن تعتاد هذا.

وعندما لاح لهما المنزل، أخذت تتأمله بنهم وهما يقتربان منه، ثم سألته: «إن المنزل اكبر مما كنت اتوقع. هل تسكنونه أنتم الثلاثة، فقط؟»

فأجاب: «إنه منزل كبير بني لسكن أسرة كبيرة، وقد بناه جدي الأكبر، مع أنه لم ينجب سوى جدي الحالي الذي أنجب بدوره ولداً واحداً هو أبي الذي أنجب اثنين. وقد تعودنا على اتساع الأمكنة حتى أن لدينا غرفاً عديدة لا تحوي أي أثاث مطلقاً.»

كان المنزل مؤلفاً من طابقين عاليين وشرفة تمتد على طول الواجهة الأمامية له وكان المنزل ذات يوم أبيض اللون، ولكن غبار التراب الأحمر قد علاه ممتزجاً بالأقذار، وكان ثمة صف من أشجار مطاط تسبغ شيئاً من الظل عليه وتصد عنه الريح من ناحية الغرب، وكانت أوراقها الخضراء الفضية تعبث بها نسائم العصارى.

سألته وهي تشير إلى مجموعة من الأبنية خلف المنزل تنتشر في الأنحاء كقرية صغيرة، وبقربها مخزن كبير للغلال: «وما تلك الأبنية الأخرى؟»

أجاب: «البعض منها مساكن العمال. وهناك مخزن لطعام الجياد وحظائر للماشية، وعدة سقائف لآليات المنزل. ظننتك تعرفين تربية المواشي.»

www.rewayti.net

قالت: «لقد عملت في مؤسسة لتربية المواشي، ولكنني كنت أعيش في مدينة تقع في وسط منطقة ريفية تضم مزارع الماشية، ولكنني لم أسكن قط في مزرعة.»

عندما أوقف الشاحنة أمام الباب الخلفي، استدار إليها قائلاً: «اهلاً بك في مزرعة راوستين، يا سيدة دوغلاس، ودعينا نحن الاثنين نأمل في التوفيق.»

فابتسمت وهي تسمعه يناديها باسم السيدة دوغلاس، وتاهت عيناها بعيداً. ولكن الابتسامة ما لبثت أن تلاشت وهي تواجه منزلها الجديد. حتى تأثير الجاذبية التي شعرت بها قرب ألبرت تلاشت وهي تدرك اخيراً هول ما أقدمت عليه. إنها في كاليفورنيا، لم تتردد وهي تحزم أمرها. لقد درست كل الخيارات التي امامها، وتفحصت كافة النواحي. لم تكن وصية كاثرين متوقعة قط، ولكنها كانت واضحة وهي تترك نصف املاكها الواسعة لستيفاني بشرط أن تتزوج من حفيد اخيها في خلال سنة واحدة، وكانت ستيفاني بحاجة ماسة إلى المال لمتابعة علاج جدتها. فالزمت نفسها بذلك، محرقة الجسور خلفها. فنجاح ذلك الآن موقوف عليها. فهي الآن، مثلها مثل ألبرت، تأمل في التوفيق. قال لها برقة وهو يرى خوفها وترددها: «تفضلي، انهم جميعاً في الداخل.»ولم تكن تتوقع هذا التفهم وتلك الرقة منه، فسرها ذلك.

سار امامها مجتازاً المطبخ الذي ادهشتها نظافته، وهذا مالم تكن تتوقعه بالنظر لإدارة الرجال له، فلم يكن على الأرض أي كساء، ولا ستائر على النوافذ ولا غطاء على المائدة أو أي شيء آخر يضفي حيوية على المكان.

وسمعت صوتاً يقول: «لقد كدت تتأخر عن العودة. هل تأخرت طائرة برينس؟» فنظرت لترى رجلاً في أواخر الستينات من عمره يدخل المطبخ، وعندما رأى ستيفاني قطب حاجبيه وهو يجيل فيها بصره يقيمها وقد بدا التفكير في عينيه السوداوين. وكانت بين ذراعيه طفلة في ثياب قذرة.

وقعت عينا ستيفاني على الفور على سارة. وخفق قلبها. لم تكن هذه صورة كاملة للطفلة كما تصورتها. لقد كان شعر الطفلة البني قصيراً كشعر الغلام. وكانت لا ترتدي سوى قميص مقفول قذر. وكانت ساقاها السمراوان وقدماها العاريتان مدلاة وهي تحدق في ستيفاني بعينيها الكبيرتين البنيتين، وكانت تتشبث بالرجل العجوز وكأنه حبل النجاة.

قال ألبرت: «أقدم إليك ستيفاني يا جدي. لقد تزوجنا عصر اليوم. وهذا هو سبب تأخرنا في الوصول إلى هنا.» وكانت لهجته، وهو يتحدث عادية ولكنه كان ينظر إلى جده بعينين ضيقتين وكأنه يريد أن يرى تأثير كلامه عليه. هز الرجل العجوز رأسه وهو ينظر إلى ستيفاني من أعلى إلى أسفل، ثم استدار إلى ألبرت قائلاً: «انك مغفل، يا فتى. ان هذه لن تبقى هنا أبداً. إنها اكثر انوثة وطيشاً من أن يعجبها مكان كهذا، فهي سترحل بعد أقل من شهر. انني لا أدري لماذا شئت أن تتزوج أجنبية. على كل حال، وإذا كنت تسألني رأيي، فهو أن كل هذا يبدو لي حماقة بالغة.»

فهتف به ألبرت محذراً: «جدي.» بينما لانت ستيفاني بزوجها غريزياً. لقد كانت قوة شخصيته من ذلك النوع الذي

يمكنها الركون إليها، بينما تابع هو قائلاً: «لقد سبق وتباحثنا في كل هذا. وستيفاني هي الآن زوجتي، فتذكر ذلك.»

أجاب الرجل العجوز متذمراً: «إنها سترحل قبل أن ينتهي الشهر.»

كان بنفس طول حفيده، ولكنه أثقل جسماً. وكان يبدو أنه يتحلى بشيء من قوة ألبرت ما جعله يبدو رجلاً منيعاً.

أجابه ألبرت بصوت بدا في ذلك الصمت، واضحاً حازماً، بينما تعلقت نظراته الهادئة بنظرات جده، أجابه قائلاً: «إنها لن ترحل إلى أي مكان.»

فتردد الجد لحظة وهو يتبادل النظر مع حفيده، ثم استدار إلى ستيفاني قائلاً بحقد: «مرحباً بك في مزرعة راوستين، يا سيدة دوغلاس.» ثم مد يده لها متابعاً: «انني جون دوغلاس. جد ألبرت. ويمكنك أن تدعيني جدك أيضاً إذا شئت، طالما أنت هنا.»

فقال ألبرت: «انها بالطبع ستدعوك جدي، فقد أصبحت الآن من الأسرة.» وعندما أخذت ستيفاني تنقل النظر بينهما، أدركت كيف سيكون منظر ألبرت عندما تتقدم به السن، طويل القامة، بادي الكبرياء، مازالت القوة ظاهرة في عضلاته وصوته. لقد كان جون دوغلاس رجلاً خشناً. وتمنت أن لا يحكم عليها بالرعونة لمجرد مظهرها. وقالت وهي تبتسم بخجل للطفلة: «ولا بد أن هذه هي سارة.»

فأجاب الجد: «لا يمكن أن يكون لدينا طفلان، فهذه وحدها تكفي لإرهاقنا جميعاً.» وتابع مخاطباً الطفلة وقد رقت أساريره على الفور: «قولي مساء الخير

للسيدة الجميلة، يا حلوتي.» لقد كان حبه لحفيدته جلياً.

فسألته ستيفاني وهي تمد ذراعيها للطفلة: «هل ستسمح هي لي بأن احملها؟» فمالت الطفلة نحوها وقد بدا الجد على وجهها وأخذت تتفحصها بإمعان بعينين متسعتين.

فقال ألبرت: «كلا.» ولكن الأوان كان قد فات، إذ أن الطفلة كانت احتضنت ستيفاني ولفت ساقيها القذرتين حول وركيها.

فاستدارت ستيفاني نحو ألبرت تحدق فيه متسائلة. هل كان عليها أن تتمهل في التعرف إلى الطفلة؟

ولكنه قال موضحاً: «انها ستوسخ ملابسك.» فشدّدت من احتضان الطفلة وهي تقول: «ان الملابس ستغسل. انها طفلة رائعة.» هنا حدث لستيفاني شيء غير متوقع. لقد وقعت في غرام الطفلة. وعندما أخذت تتفرس في تلك العينين الواسعتين المحدقتين فيها، خفق قلبها حباً وبهجة لاستلامها هذه الطفلة الغالية، لقد تبددت الآن كل شكوكها واضطرابها. انها كانت على صواب في مجيئها إلى استراليا والزواج من ألبرت دوغلاس. وهي ستكون أماً صالحة لهذه الصغيرة. وعندما أخذت تسترق النظر إلى عريسها من تحت اهدابها، تساءلت عما إذا كانت ستصبح زوجة صالحة كذلك.

وكان هو يحدق فيها، وساد التوتر بينهما مرة أخرى. ولم تستطع هي أن تبعد نظراتها عنه، فقد كانت القوة الكامنة في عينيه تسمّرانها. وأخيراً، تركها ألبرت وتحول خارجاً ليحضر أمتعتها. فكادت تتنهد بارتياح وهي تفكر في أن من الأفضل لها أن تتعود على تمالك نفسها في حضوره.

www.rewayti.net

وعندما عاد بعد لحظات حاملاً الحقائب، قال لها: «تعالي معي إلى الطابق الأعلى لأريك غرفة نومك. هل ستعد أنت الطعام هذه الليلة يا جدي؟»

فأجاب الجد: «طبعاً، كالعادة. فأنا سأمنح ستيفاني يوماً أو يومين لكي تستقر.» ونظر إليها يسألها بخشونة: «انك تحسنين الطبخ، أليس كذلك؟»

فأومأت برأسها واستدارت تتبع ألبرت، فقد ابتدأت تشعر بالقهر. لقد كانت متوقعة أن تقتصر علاقتها على ألبرت وسارة، دون هذا الرجل العجوز الذي أبدى بوضوح كراهيته لوجودها هنا. واجتاز ألبرت القاعة المظلمة بخطواته الواسعة المتكاسلة وهو يحمل حقائبها الثقيلة دون جهد وكأنها خالية. وعند أسفل السلم، توقف لكي تتقدمه. وعند القمة وقفت مترددة، فقال: «من هنا.» ودفع باباً إلى اليمين ثم دخل يضع الحقائب بجانب سرير فردي. وتبعته هي وعيناها تجولان في أنحاء الغرفة التي كانت بسيطة عادية. وكان على السرير ملاءات وبطانيات دون غطاء، ولم تكن على النوافذ ستائر. وإلى جانب الجدار قامت خزانة ذات أدراج. وكان هذا كل شيء. حتى ولا منضدة صغيرة عليها مصباح للقراءة. وعندما أخذت تنظر إلى كل هذا بذعر، قال لها: «ان غرفة سارة بجانب غرفتك، وغرفة جدي إلى الخلف منها. أما غرفتي فآخر القاعة. الحمام هو الثاني إلى اليسار.»

فقالت بمرح: «هذا رائع.»

فجال ببصره في أنحاء الغرفة وكأنه يراها للمرة الأولى، ثم قال: «ربما ترغبين في إضافة بعض الأشياء إليها.»

فأومأت برأسها لا تريد أن تجرح مشاعره بقولها إن الغرفة بحاجة إلى إضافة الكثير.

وتردد وكأنه يريد أن يقول شيئاً، ولكنه مالبث أن هز كتفيه ثم سار نحو الباب وهو يقول: «ان العشاء الساعة السادسة والنصف. وستكونين قد ارتحت حتى ذلك الحين، وغداً تبدإين بإعداد وجبات الطعام بنفسك.»

بقيت ستيفاني واقفة مكانها تستمع إلى وقع خطواته تبتعد نازلاً السلم ليدخل بعد ذلك المطبخ ثم ساد السكون. وكانت الطفلة تحدق فيها دون أن تفوه بكلمة. فسألتها: «هل تريدين أن تتفرجي عليّ وأنا أفرغ أمتعتي؟» وكوفئت على هذا بابتسامة من الطفلة وإيماءة.

وعندما انتهت ستيفاني من افراغ امتعتها، وغسل جسد سارة، كان الإرهاق قد استولى عليها، ولم تجد ملابس كثيرة للطفلة، وهكذا ألبستها قميصاً مقفولاً نظيفاً، ما جعلها تبدو نظيفة أنيقة. ومن ثم استلقت على سريرها وقد هدها التعب من التوتر المتواصل والأحداث المرهقة التي مرت بها هذا النهار، آخذة الطفلة معها على نفس السرير، مصممة على الراحة لعدة دقائق قبل أن تبدأ بالتفرج على المنزل. وأغمضت عينيها وهي تسمع حفيف أوراق الشجر من خلال النافذة المفتوحة، شاعرة بالنسائم العطرة الدافئة تلامس بشرتها ما منحها شعوراً بالأمن والهدوء.

وهتف بها صوت يناديها: «ستيفاني.» بينما أخذت يد خشنة تزيح عن وجنتها خصلات شعرها.

وعاد الصوت خفيضاً رقيقاً يتسلل إلى اعماق نفسها عاد يقول: «استيقظي يا ستيفاني. لقد حان وقت الطعام.»

www.rewayti.net

وفتحت ستيفاني عينيها ببطء. كان منحنياً عليها، مقترباً بوجهه من وجهها وعيناه الفضيتان تراقبان عينيها وهما تنفتحان.

وعاد يقول: «استيقظي.» وكان يبتسم بكسل وهو ينظر إليها. فحدّقت في وجهه وشعره الأسود الذي يسرّحه إلى الخلف، منسدلاً إلى ياقة قميصه. وهمست تسأله: «اتراني تأخرت؟»

«إنه وقت العشاء. لقد جئت قبل الآن وأخذت سارة من جانبك، وهي الآن معنا في الطابق الأسفل، وقد اعد جدي كل شيء.»

قالت: «سألحق بك على الفور.»

أومأ برأسه بخفة وهو يتحول خارجاً من الباب وهو يقول: «إننا بانتظارك.»

عندما دخلت ستيفاني المطبخ بعد ذلك بدقائق، كان جون وسارة جالسين إلى ناحية من المائدة، وألبرت إلى الناحية الأخرى. وعندما رآها، جذب كرسياً بجانبه لتجلس عليه، وبينما أخذت تأكل بهدوء كان الرجلان يتحدثان في شؤون المزرعة، فكان ألبرت يلقي بالأسئلة فيجيبه الجد. وتملكها السرور لما كانت تسمع. فقد كان تعرف شيئاً ما ساعدها على تفهم ما يقولون.

سألها ألبرت فجأة مغيراً الموضوع ليوجه اهتمامه إلى عروسه: «هل افرغت امتعتك؟»

فأومأت برأسها، فعاد يسأل: «وهل وجدت كل ما تحتاجينه؟»

أجابت: «نعم، ما عدا ملابس لسارة.» فنظر إلى الطفلة،

ثم عاد ينظر إلى ستيفاني قائلاً: «ولكنها ترتدي قميصاً نظيفاً. لا بد أنك وجدت ثيابها.»

فقالت: «لم أجد في الأدراج سوى قمصان، فأين بقية ثيابها؟»

أجاب: «لقد ضاقت عليها ثيابها التي كانت امها قد اشترتها لها. فعدت أنا واشتريت لها هذه القمصان، فالجو حار هنا.»

فتمتمت قائلة: «ربما. ولكنني سأشتري لها بعض الأشياء من المدينة.» لم تكن تريد أن تهين عريسها، ولكن الطفلة تحتاج لأكثر من مجرد قمصان قطنية.

فقال الجد: «ربما كان عليكما أن تنتظرا قليلاً قبل عقد القران. فهي لم تمض بعد خمس ساعات وتراها قد ابتدأت تتحدث عن الذهاب إلى المدينة. إنني أؤكد لك يا ألبرت بأنها لن تبقى هنا. لقد كانت رغبة كاثرين غاية في الحماقة، والأسوأ من ذلك اتباعك لهذه الوصية. ولكن حضور فتاة جميلة كهذه كفيل بأن يجعل خطتك مستحيلة. كنت اظنك اخذت درساً من قبل، انها لن تستمر معك.»

ولم تستطع ستيفاني تجاهل هذا الكلام الذي يدور حولها. كيف يجرؤ على التحدث عنها إلى ألبرت وكأنها غير موجودة؟ وتذكرت كلاماً كان سبق وقاله لها من قبل. اتراه يكرره مرة أخرى امام جده؟

قالت له: «اظنك قلت ان اتفاقيتنا هذه ستدوم إلى أن يموت احدنا.»

فأجاب بملامح سادها الجمود: «نعم. لقد قلت هذا. اننا الآن متزوجان وسنستمر كذلك.» وكان غضبه موجهاً إلى جده.

www.rewayti.net

فتمتم الجد: «يا لك من أحمق.»

فقال له ألبرت وقد اشتد غضبه: «انني لا أريد نصائح في هذا الشأن، يا جدي. لقد اقمنا، أنا وستيفاني، عهداً بيننا، وأنا اتوقع أن نحافظ عليه نحن الاثنين.»

فانفجر الجد بغضب مماثل وهو يرد على حفيده قائلاً: «حسناً، ربما من الأفضل لك أن تستمع إلى نصيحة من هو اكثر حكمة منك. ان امك لم تكد تكمل الخمس سنوات مع أبيك. وكلير مكثت أقل من سنتين. فماذا ستظن هذه الشابة الصغيرة ستفعل وهي التي لم تتزوجك إلا لأجل المال، فإذا هي حصلت عليه، فلن يبقى ما يربطها هنا؟»

فقال ألبرت: «اننا ندرك ما نفعل. فستيفاني متفهمة تماماً للوضع الذي ألقت بنفسها فيه. ان زواج المصلحة هو كاتفاقية عمل وربما اكثر ملاءمة لنوع حياتنا هنا.»

كانت ستيفاني تحس بموجات غضبه، ومع ذلك كانت تدرك انه يحاول كبته. كان كلامه صحيحاً، فليس بينهما أي حب، فقد كان الأمر لا يعدو زواج مصلحة. وخطر لها لحظة عما سيكون عليه الحال لو أن ألبرت وقع في حبها. كان واضحاً أنه رجل قوي المشاعر، فبإمكانها أن تشعر بالغضب يغلي في داخله، فماذا لو أنه احبها بنفس القوة؟ ولكن... انها لا تثق بالحب. انها حريصة جداً على ان لا تمنح قلبها مرة أخرى. انها لن تعرض نفسها لمثل ما سبق وتعرضت له من آلام. كلا. ولا هي تريد الركض خلف السراب الذي تبعته أمها من قبل.

فقال الجد بحدة: «انك لا تعرفها.»

فانفجرت فيه ستيفاني وقد تعبت من معاملتهما لها

وكأنها غير موجودة، انفجرت تقول: «وكذلك أنت لا تعرفني ولا أنا اعرف ألبرت. ولكنني وثقت بكلامه عندما قال إن هذا المشروع سينجح. ما الذي ينبغي أن يتضمن هذا الزواج؟ الحب؟ ذلك شعور يعطى اهمية اكثر مما يستحق، وهو غير دائم. انني اعلم ذلك... فأمي احبت اكثر من عشر مرات. وتزوجت سبع مرات لم يدم واحد منها. انك تظن أن لا طاقة لي على البقاء هنا... حسناً، انني لا اعرف الكثير عن رأي الرجال في الحب عدا عن انهم يستعملون كل الأساليب لاصطياد المرأة، ثم يتركونها تنزف...»

فانفجر الجد بدوره قائلاً: «ان زوجتي روز، كانت تعشق المزرعة، وساعدتني على بنائها. لقد كان حبنا رائعاً. ولكنها ماتت شابة عندما كان والد ألبرت صبياً. انني لم أشأ أن أتزوج بعدها قط. أما زوجة ابني إدي، فلم تستطع متابعة الحياة في المزرعة، فهجرتنا بعد سنوات قليلة. ولم يكن حظ إدي ابنها افضل، إذ أن زوجته كلير لم تكمل السنتين.»

فأضاف ألبرت: «وكانت تشكو طوال الوقت.»

فقالت: «ولكنني لست والدة ألبرت ولا كلير. انني ستيفاني وأنا باقية هنا.»

فقال وهو ينظر إليها بحزن: «حسناً، سنرى.» وكانت هي ترتجف لعنف المشاعر التي كان جو العشاء مشحوناً به. هل ستمر عليهم وجبات العشاء دوماً بهذا الشكل؟ أم أن هذا عشاء خاص احتفالاً بقدومها؟

عندما ترك الرجل العجوز الغرفة، قال لها ألبرت: «لا تغضبي من جدي، فهو مازال متألماً مما جرى لإدي.»

www.rewayti.net

أومأت برأسها وقد انتابتها خيبة الأمل لهذا الاستقبال الذي قوبلت به. ولكنها مازالت على تصميمها على متابعة المسير في هذه الحياة الجديدة. وعلى كل حال فهي لن تدع موقف الجد منها ينال من عزيمتها. لقد سبق وأخذت على نفسها عهداً بالبقاء مع ألبرت طيلة حياتها، وهي ستتمسك بعهدها هذا مهما كان الثمن ومهما كانت الإستفزازات من حولها. انها لن تكون مثل امها ولا مثل كلير أو والدة ألبرت. كان هذا هو قرارها النهائي.

خلال اليومين التاليين، كانت ستيفاني قد أتمت استكشاف نواحي المنزل كافة، وكانت تعتني بالطفلة وتعد وجبات الطعام. وكان ألبرت يذهب إلى العمل منذ الصباح ليعود وقت العشاء. وفي غيابه، كانت تنسى، تقريباً، تلك التيارات الخفية التي كانت تتجاذبهما عندما يكونان معاً، ولكنه عندما يجلس إلى المائدة وينظر إليها، يصبح من الصعب عليها تجاهلها.

ولتصرف ذهنها عن ازدياد تأثير ألبرت عليها، انغمرت في وضع الخطط لكي تجعل من المنزل بيتاً مناسباً لهم جميعاً. ذلك أنه لم يكن ثمة أثر لذوق المرأة في مختلف أنحاء البيت. فقد كانت الستائر في غرفة الجلوس قديمة حائلة اللون، وكانت الغرف مفروشة بأقل ما يمكن من الأثاث. فلم تكن هناك لوحات معلقة على الجدران، ولا تحف تضفي جمالاً على المناضد. كانت الكتب ملقاة في كل مكان وكأن الرجال كانوا يقرأونها ثم يلقون بها كيفما اتفق. ألم تقم كلير بشيء في سبيل اصلاح مظهر البيت هذا؟ أم انهم محوا كل أثار وجودها؟ وملأت خطط تحسين المنزل

وتزيينه، وتزويده بكل وسائل الراحة، ملأ ذلك كل وقتها.

كانت في كل لحظة، تزداد معرفتها بالطفلة. وكانت سارة تتبعها في كل مكان، وعندما كانت هي تعد وجبات الطعام، كانت الطفلة تجلس على كرسي بجانبها لتساعدها! وعندما كانت ستيفاني تنظف الغرف، كانت هي تحاول مسح الغبار. وكانت مغرمة، على الأخص بالاغتسال، فكانت تجلس في الحوض تتخبط في الماء ترشه وتنثره حولها فتبلل به كل ما يصل إليه.

ووجدت ستيفاني منضدة صغيرة نقلتها إلى غرفتها حيث وضعتها بجانب سريرها. ولكن لم يكن هناك مصباح. ولو استطاعت الذهاب إلى المدينة لاشترت واحداً. وكانت أيضاً تريد أن تشتري بعض الملابس لسارة لتدلل هذه الطفلة الصغيرة التي خسرت والديها في هذه السن. وكانت تريد أن تشتري لها بعض الألعاب كذلك.

كان عليها أن تسأل ألبرت عن امكانية ذهابها إلى المدينة، ولكنها كانت حذرة من ناحية الجد جون، لا تريد ان تعطيه سبباً للتذمر منها مرة أخرى. ولكنها أثناء اليومين اللذين امضتهما هنا، لم تكن ترى ألبرت إلا أثناء تناول الطعام. وعندما ينتهي العشاء، كان يذهب مع جده إلى المكتب فيتحدثان في شؤون العمل إلى ما بعد ذهابها إلى الفراش بوقت طويل.

وأدركت ستيفاني أن الوقت الوحيد الذي بإمكانها أن تنفرد به لتسأله عن ذلك هو في الليل بعد أن يذهب جون إلى غرفته.

www.rewayti.net

الفصل الثالث

انتظرت ستيفاني تلك الليلة متحينة الفرصة، إلى أن سمعت ألبرت يغلق باب غرفته. ولم تضيع وقتاً، فاجتازت القاعة نحو غرفته ثم نقرت الباب بخفة. فتح الباب ونظر إليها بدهشة، وكان قد ابتدأ يستعد للنوم. قال: «ستيفاني؟»

فقالت: «هل يمكنني التحدث إليك؟»

أجابها: «طبعاً.» دخلت إلى غرفته وأغلق هو الباب خلفها. وتوقفت لحظة لا تستطيع مواجهة نظراته، محاولة جهدها تمالك نفسها، وهي تنظر في أنحاء غرفته بفضول. كانت قليلة الأثاث مثل غرفتها تقريباً، ولكن السرير كان ضخماً، كما كان هناك مصباح بجانب سريره، ورأت خلف السرير باباً يقود إلى حمام خاص.

قال: «انني لم أتوقع حضورك، ليس بهذه السرعة على كل حال.»

سألته: «تتوقع حضوري؟» ولم تفهم ما يعني بقوله هذا.

فقال وهو ينظر إليها وقد بان عليه الشعور بالرضى: «لم اكن اتوقعك في غرفتي بهذه السرعة.»

انتابها الذهول. كلا، لم يكن هذا سبب حضورها. نظر إليها بحيرة، بينما كانت تقول: «انك مجنون، إذ لا يمكنني أن اشاركك غرفتك، فأنا لا أكاد أعرفك. انه لم يمض عليّ يومان هنا.» كانت تهذي كالأطفال ولكنها لم تكن تدرك ما كانت تقول. لم تكن واثقة من مشاعرها، ولكن هذه المشاعر

قد افلتت من عقالها. ها انه يظن أنها جاءت لتشاركه غرفته. وهي ترغب في ذلك فعلاً، ولكن هذا لا ينبغي أن يكون. انها لا تستطيع، وهزت رأسها قائلة: «ان هذا ليس جزءاً من اتفاقيتنا... ان لدينا اتفاقية عمل وهي فقط لتنفيذ شروط الوصية.» انها لم تفكر قط في ما عنى به. ما أشد حماقتها.

أما هو، فقد تغيرت أساريره على الفور. فحل الضيق في عينيه والخشونة مكان الدفء والرقة، وتوترت شفتاه وتقبضت يداه على جانبيه بعنف ثم قال: «ان هذا شيء طبيعي بين الزوج وزوجته.»

فسألته وقد شعرت بصدمة لكلماته تلك: «وماذا عن الحب؟»

أجاب: «اننا نحن الاثنين لا نثق به، وما يربط بيننا هو الإلتزام. فماذا تريدين اكثر من هذا؟»

فهتفت بدهشة: «اكثر من هذا بكثير.» انها لم تتوقع ان يجذبها ألبرت إلى هذا الحد.

سألها: «ولماذا جئت إلى هنا إذن؟»

أجابت: «جئت لأرى إن كان بإمكاني أن أذهب غداً إلى المدينة لأشتري بعض الحاجات. وكنت قد سبق وقلت لي إن بإمكاني أن استعمل السيارة. ليس لديّ حتى مصباح بجانب سريري إذا شئت أن أقرأ. كما أن سارة لا يمكن أن ترتدي قمصاناً قطنية طيلة حياتها.» كانت تتكلم وهي ماتزال مستندة إلى الباب خوفاً من ألا تحملها ساقاها إذا هي ابتعدت عنه. وكانت عيناها ماتزالان مشتبكتين بعينيه.

وعندما ادركت أنه يفكر في ما سبق وقاله جده، رفعت ذقنها قائلة: «انني واثقة من انك لن تطردني بعد أن وضعت

www.rewayti.net

يدك على حصتك من الإرث. وأظن أن عليك أن تبدأ بالثقة بي وفي أنني لن اهجرك كما فعلت كلير.» كانت تتحدث بحدة اكثر من اللزوم، وربما كان ذلك نتيجة تدفق مشاعرها، أو لعله تغطية منها للوحشة التي استشعرتها لانفصالها عنه.

واستدار هو متجهاً نحو الخزانة حيث تناول عن الرف سلسلة مفاتيح القاها إليها وهو يقول: «هاك مفاتيح السيارة اللاند روفر وهي تحت السقيفة بجانب مخزن الغلال. انها لك. وعندما تأتين إلى غرفتي في المرة القادمة كوني مستعدة للبقاء.»

فهمست شاكرة، وقبل أن تفر هاربة إلى حيث الأمان في غرفتها، قال وعيناه تتأملانها: «انك امرأة جميلة يا ستيفاني، والرجل عليه أن يكون زاهداً أو معقداً لكي يستطيع الامتناع عن الافتتان بك، وأنا لا أنوي الانتظار طويلاً قبل أن أتمم زواجنا.»

فصدرت عنها شهقة سريعة، استدارت بعدها هاربة من الغرفة.

ومرت فترة طويلة قبل أن تستغرق في النوم، فقد كانت تعيد إلى ذاكرتها مرة بعد مرة، ذكرى كلامه ونظراته... لقد تأكدت الآن من أنه، على الأقل، كان منجذباً إليها بقدر ما كانت هي منجذبة إليه. ولكن، هل كان كل شعوره نحوها هو كما عبر عنه (أن هذا شيء طبيعي بين الزوج وزوجته)؟ انها لا تستطيع ذلك مع رجل لا تحبه. ولكنه كان على حق، فهي لا تثق بالحب، فما هي نتيجة كل هذا؟

وفي صباح اليوم التالي لم تكن تركز على الطريق رغم أنها التزمت في قيادة السيارة ناحية اليسار لأول مرة في

حياتها. وكانت سارة جالسة بجانبها في كرسيها تثرثر برتة. لم يكن السير مزدحماً، وكان هذا من حسن الحظ لأن ستيفاني كانت مشتتة الذهن وهي تفكر في ليلة أمس وألبرت. لم تكن قد توقعت قط هذا التجاوب منها لتقرب رجل إليها لا تكاد تعرفه، كما أنها لا تحبه. وحاولت أن تبعد هذه الصور من ذهنها، ولكن عبثاً. كانت تريد أن تمضي معه وقتاً أكثر وذلك لكي تعرف كل ما بإمكانها معرفته عن الرجل الذي هو زوجها الآن.

كانت تريد أن ترضيه بعدة وسائل لكي تصبح، بالنسبة إليه، شيئاً مميزاً، ما يحمله على التعلق بها ويجعله يشعر بالسرور للزواج منها. اتراها وقعت في حبه؟

ودفعت هذه الفكرة ذكرياتها عنه من ذهنها. كلا، عليها ألا تسمح لذلك الشعور المتقلب من التمكن من نفسها. إنها ليست من نوع أمها التي كانت تدعي في كل مرة تعثر فيها على شخص جديد، انها وقعت في الحب. انها لن تسمح مرة أخرى لنفسها بأن تكتوي بنار الألم الذي عانته عندما علمت بأن مايكل لم يكن يحبها، وإنما كان يتسلى بها فقط. انها تشعر بالإعجاب حقاً بألبرت والاحترام له وكذلك المودة، وربما سمحت لنفسها بتقبل اقترابه منها، ولكن كل ذلك ما هو إلا أحاسيس خارجية، فهي لن تدع نفسها أبداً تقع في الحب.

كذلك لن تفكر فيه بعد الآن، فلديها قائمة بالأشياء التي عليها شراؤها من المدينة. كانت قد قررت بأن تسرع في شراء حاجياتها وترجع إلى مزرعة راوستين، فهي لم تخبر الجد جون بمكان ذهابها، ولهذا لن تدع نفسها تتأخر

www.rewayti.net

فيفوتها موعد اعداد العشاء. لم تكن تشعر بالإرتياح من ناحية جون وكانت تريد أن تتجنبه قدر المستطاع. فهو ما زال يظهر تذمره لزواج ألبرت منها. فإذا كان يحاول أن يبعدها عنهم، فهو إذن يسير في الطريق الخطأ، إذ في كل مرة يدلي بتعليق ما، يجعلها هذا اكثر تمسكاً بالبقاء، ولو لتغيظه.

ولم يعد ألبرت إلى التصدي لتعليقات جده كما سبق وفعل في أول ليلة لها. ولكن ستيفاني لم تعد بحاجة إليه ليدافع عنها، فقد كانت مسرورة للصفقة التي عقدت بينهما.

ولكن، هل كان ذلك ليحصل لو لم يحدث بينهما الليلة الماضية ما حدث؟

وارتجفت وهي تتذكر الإعجاب في عينيه، والحزم في فكه. لقد كانت تظن أنها احبت مايكل، ولكن رقته معها لم تكن تؤثر بها كما هو الحال مع ألبرت. كما أنها لم تكن تشعر بالشوق إلى الإستزادة من مشاعرها تلك وهي مع مايكل، كما رأت نفسها مع ألبرت.

إنه يرغب بها. وهي السبب في أنهما مازالا منفصلين. فإذا تكرر معهما ما حدث، فهناك خطر حقيقي في أن اللهب سيحرقها ويدفعها إلى الاستسلام، فمن الأفضل لها إذن أن تبقى بعيدة عنه.

ولاح لها سطح المتجر المعدني عن بعد والذي هو أعلى بناية في مدينة اديلايد تلك. وعندما سارت فوق جسر خشبي ضيق يمتد فوق معدية جافة، ابتدأت تشعر بالعصبية مرة أخرى. فهي لم تكن قد تعرفت إلى احد في المدينة ما عدا رجل الدين الذي عقد زواجهما، ومساعديه الذين كانوا

شهوداً على ذلك. وكانت اديلايد مجتمعاً صغيراً، ولا بد أن كل شخص فيها الآن قد علم أن ألبرت دوغلاس قد تزوج من أجنبية. اتراهم علموا أنهما تزوجا بالمراسلة؟ وشعرت فجأة بأنه كان عليها أن تناقش هذا الأمر مع ألبرت فهي لا تريد أن تتفوه بمعلومات خاطئة.

وهكذا، ونتيجة لعدم تأكدها مما عليها أن تقول أو تتصرف، أبقت نفسها بمعزل عن الصداقة التي أبداها نحوها بعض موظفي المتجر. فقد تصرفت معهم بأدب جم إنما بغاية من التحفظ الذي لم يشجعهم على إلقاء أية اسئلة. ولكنها لم تستطع مواجهة فضول موظف البريد بنفس السهولة. إلا أنها توخت الغموض في أجوبتها، ثم تركت المكان محملة بكومة من المراسلات للمزرعة، ورسالة صغيرة من جدتها. لقد كانت بحاجة إلى أن تعرف من ألبرت بالضبط ما يريدها أن تخبر به الناس، قبل أن تغامر مرة أخرى.

كانت تحزم سارة في كرسيها بالسيارة عندما اقترب منها رجل طويل القامة يرتدي ملابس الشرطة وهو يقول: «اظنك السيدة دوغلاس.»

فأجابت بأدب، متسائلة عما إذا كانت قد أوقفت سيارتها في المكان الخطأ: «نعم.»

فقال: «ان اسمي هو ستيفن كاسيدي وأنا من اصدقاء ألبرت. اهلاً بك في مدينة اديلايد.»

فقالت: «اهلاً بك يا سيد كاسيدي. كيف عرفت من أنا؟»

وأثر فيها كونه صديقاً لألبرت وتقدمه إليها معرفاً عن نفسه. وكان في مثل طول زوجها إنما أقل قوة ومتانة بنية.

www.rewayti.net

وكان شعره خفيفاً بني اللون بنفس لون عينيه، كما أن بشرته لم تكن بمثل اسمرار بشرة ألبرت.

أجاب: «ان الأخبار سرعان ما تنتشر هنا بسرعة. هل لديك وقت لتناول فنجان قهوة معي؟»

أجابت: «شكراً، ليس اليوم. فأنا أريد أن اصل بسارة إلى البيت قبل أن تتضايق.»

فقال: «إذن فلندع هذا إلى المرة القادمة عندما تكونين في المدينة. أخبري ألبرت أنني سأعرج عليكم للزيارة ذات أمسية.» وحياها بلطف، ثم تحول نحو الرصيف.

كان تصرف سارة رائعاً ما جعل ستيفاني في غاية السرور لسهولة اصطحابها معها. ولعدم وجود ما تلهو به في المنزل، فقد اشترت لها دمية من قماش ومجموعة من قطع البناء البلاستيكية، فكانت الطفلة تلعب بالدمية طيلة الطريق، ملوحة بها حولها، ممسكة إياها من شعرها. وبالإجمال، فقد كانت ستيفاني مسرورة من هذه الرحلة.

وعندما وصلت إلى المنزل، كان الجد يعمل في مكتبه. فناولته مجموعة الرسائل التي احضرتها من مكتب البريد دون أن تتفوه بكلمة، ثم صعدت بأكياس مشترياتها إلى غرفتها مارة بباب مكتبه المفتوح. فنظر إليها متأملاً الأكياس والصناديق التي كانت تسرع بها صاعدة السلم.

أخذت ستيفاني سارة معها إلى غرفتها الصغيرة ومضت تتحدث إليها بينما كانت تخرج الثياب التي اشترتها لها: «ستبدين حلوة جداً في هذا الثوب الأصفر. ألن يدهش ألبرت وجدك لذلك أثناء العشاء؟ هنا يمكنك ان تلعبي بهذه الأحجار يا حلوتي.» وضحكت ستيفاني وهي ترى الطفلة تندفع نحو الأحجار.

أخذت كارولين تتأمل الستائر التي كانت قد اشترتها وشعرت بلهفة لتعليقها، ولكن لم يكن في امكانها ذلك دون عون من ألبرت فلم يكن هناك قضبان في مكان تعليق الستائر ولم تكن هي تدري شيئاً عن مكان وجودها. لقد اشترت كل ما تحتاجه للغرفة وما عليه هو إلا أن يساعدها في تعليق الستائر، وأخذت تتصور نفسيهما يعملان معاً، ويتحدثان ويتعرف الواحد منهما إلى الآخر بشكل اكثر شمولاً، ويتصرفان كزوجين حقيقيين.

بعد أن مدت على الأرض الأبسطة المتفرقة ذات الزغب، أخذت تتأمل الغرفة برضى. فقد بدت بما أضافته إليها من ألوان، افضل كثيراً. كما انها اشترت ورق جدران تناسب الوان الستائر المسدلة بين غرفتها وغرفة سارة، ودهاناً للزخرفة، وبإمكانها ان تقوم بذلك بنفسها.

حان الوقت لإعداد العشاء. ولم تشأ أن تتأخر كي لا تمنح الجد أية فرصة للتذمر. فحملت سارة والعابها الجديدة، واسرعت نحو المطبخ.

وفي الساعة السادسة والنصف كانت ترتب مائدة العشاء. وكان الرجلان جالسين إلى المائدة. وضعت طبقاً كبيراً يحوي دجاجاً مقلياً امام الجد وهي تبتسم، مضيفة طبقاً من البازلاء والبطاطا والشمندر، ثم جلست بجانب ألبرت وهي تراقبهما بقلق لترى مقدار استحسانهما للطعام. فقد كانت وجبة نموذجية من طعام بلادها. ولكنها منذ وصولها إلى هذا المنزل لم تطبخ سوى لحم البقر. اتراهما سيحبان لحم الدجاج؟

ولكن الجد جون قال لها وهو ينظر إلى البنطال الجينز

www.rewayti.net

والقميص القطني الخفيف اللذين ترتديهما: «ظننتك سترتدين ثوباً جديداً على العشاء؟»

فأجابته وقد حيرها ما قال: «لماذا؟ هل ثمة مناسبة خاصة؟»

فأجاب: «لقد رأيتك في غاية اللهفة إلى ترك المنزل هذا النهار. لقد ذهبت إلى المدينة، أليس كذلك؟ لم يمض عليك هنا ثلاثة أيام بعد، ثم تريدين الخروج؟»

فأومأت برأسها. لقد ذهبت فعلاً إلى المدينة، ولكن ليس لتشتري اشياء لنفسها ما عدا مصباح وبعض الدهان.

أخذ ينظر إليها بعينين ضيقتين وهو يقول: «لقد رأيت كل الأكياس والصناديق التي اشتريتها، لا بد انك اشتريت كل محتويات المتجر.» ونظر إلى ألبرت قائلاً: «إذا هي استمرت على هذه الحال فستجعلك مفلساً في أقرب وقت.»

قالت بهدوء: «انني لم اشتر أي ملابس لي بل اشتريت لسارة اشياء قليلة.» وتساءلت كيف لم يلحظ احد الثوب الجديد الذي كانت سارة ترتديه.

فقال الجد: «لقد صعدت إلى غرفتك ست مرات على الأقل وانت محملة بالمشتريات في كل مرة.»

فقال ألبرت بخشونة: «ألا تكف عن الإنتقاد؟»

أجاب الجد: «آه منك. متى ستدرك أنها ليست منا؟ انها ستنفق اموالك وتجلب الفقر اليك ثم تهجرك.»

فوضعت ستيفاني يدها على ذراع ألبرت تمنعه من الكلام لتجيب عنه قائلة: «لقد اشتريت بعض الأشياء لتنظيم غرفتي وغرفة سارة، وذلك من نقودي أنا.»

فرد عليها بحدة: «ليس لك الحق بذلك. ماذا جرى ايتها السيدة؟ الا يعجبك هذا المنزل؟»

فأجاب ألبرت: «ان هذا بيتها وهي حرة في تنظيمه كما تشاء، ليس فقط بالنسبة إلى غرفتها وغرفة الطفلة. ويمكنها إذا أرادت ان تغير نظام أي غرفة فيه.»

فقال الجد متحدياً: «إنه ليس منزلك.»

فتصلبت اسارير ألبرت، ونظر إلى جده بعينين غاضبتين، تاركاً عشاءه، وهو يقول بصوت جامد: «كلا، انه ليس منزلي، ولكنه البيت الذي اعيش فيه مع زوجتي. فإذا كنت لا تريد ذلك، فدعني اعلم لأبني منزلاً خاصاً بي وبها.»

فساد صمت صاعق. وأمسكت ستيفاني انفاسها، وهي تنقل نظراتها بين هذين الرجلين القويين. لم تكن تريد ان تتسبب في أزمة كهذه. ثم إذا بالجد يهز رأسه ببطء قائلاً: «كلا. لا اريدك ان تنتقل من هنا.»

فقال ألبرت: «ان بإمكان ستيفاني إذن أن تنظم المنزل كما يروق لها.»

أجاب الجد: «نعم.»

قال ألبرت: «ان ستيفاني هي زوجتي، يا جدي. وعليك أن تتقبل هذا الواقع. وأنا لن اتحمل بعد الآن اي تدخل أو انتقاد. فإذا لم نستطع العيش معاً هنا بانسجام، فسننتقل من هنا. ولكن سارة ستذهب معنا.» وتسمرت نظرات ألبرت العنيفة على جده، ولكن لم يتحرك أو يتكلم احد.

وتسارعت خفقات قلب ستيفاني لدى سماعها هذه الكلمات. ربما كان زواجهما هذا للمصلحة فقط، ولكن

www.rewayti.net

ألبرت كان يحميها، ويقف بجانبها. وابتدأت تعتقد بأنه لن يتركها ابداً كما فعل ازواج أمها بأمها، أو ان يخونها كما فعل مايكل. وشعرت بالدوار لهذه المشاعر التي فاجأتها. ها هوذا يقف بجانبها ضد جده! بينما هو لم يعرفها إلا منذ ثلاثة أيام فقط. انها لن تنسى هذا ابداً.

وأخيراً قال الجد مسلّماً بالهزيمة: «انما لا أريدها ان تقترب من غرفتي أو مكتبي.»

فأومأت برأسها وهي تنظر في طبقها تكاد تهتف ابتهاجاً للسعادة التي سرت في كيانها. انها ستجعل من هذا المنزل بيتاً لائقاً لهم جميعاً، ولكن شيئاً فشيئاً، دون أن يشعر الرجلان بتغيير حياتهما. فهي ستضيف الزينة ولمسات الأنوثة لغرفتها وغرفة الطفلة فقط، أما الغرف الباقية فستتوخى فيها الراحة، ولكنها ستبقيها على طابعها.

وعندما خف التوتر حول المائدة، سألها ألبرت: «ماذا اشتريت اليوم؟»

فأخبرته وهي تشرح له ما ستفعله بغرفتها وغرفة سارة، مختتمة حديثها بقولها: «وهكذا سأقوم بكل شيء بنفسي ما عدا الستائر، إذ ستساعدني أنت بتركيبها.»

قال: «سنقوم بذلك بعد العشاء.»

فقال الجد في محاولة للمصالحة: «سآتي للتفرج على ما حدث من تغيير بعد إنجازه. ان الطفلة تحتاج إلى بعض الزينة والزخارف.»

فسرها ذلك منه. كانت تدرك أنه ليس من السهل بالنسبة إليه، ان تحشر نفسها فجأة في حياتهم. ولكنها كانت تأمل في أن يساعد مرور الزمن في شعورهم جميعاً بالانسجام،

بعد ان تتعرف على طباع زوجها. لقد زادت معرفتها قليلاً بزوجها الآن عما كانت قبلاً.

بعد العشاء، أخذت ستيفاني تغسل الأطباق بينما أخذ الجد سارة إلى الخارج لكي يريها الجياد. وجلس ألبرت يتناول قهوته متباطئاً وهو يراقب زوجته اثناء تنظيفها المطبخ. وأحست هي بمراقبته لها فأخذت تتباطأ في عملها لتمنع بذلك، اعصابها من التوتر. فقد كانت ذكرى ما حصل بينهما أمس مازالت تداعب خيالها، وان تكن تفضل لو أنه ذهب إلى المكتب بدلاً من بقائه هنا محدقاً فيها. وشعرت بالإرتياح عندما صعدا اخيراً إلى غرفة الطفلة.

سألها وهو يدخل الغرفة حاملاً ادوات العمل بيده فيتصاعد وقع خطواته على الأرض الخشبية: «هل اشتريت كل القطع المعدنية الخاصة بتعليق الستائر؟»

أخرجتها من الكيس وهي تقول: «هذا ما اخبرني به البائع في المتجر.»

وقفت تناوله حبل الستارة، فقال لها وهو يشمل الغرفة بنظراته: «ان ما قمت به إلى الآن قد اعجبني في الواقع. ان كل طفلة بحاجة إلى امرأة تعتني بها.»

فشردت نظرات ستيفاني بعيداً، فقد كانت ذكرى ما حدث بينهما الليلة الماضية تمحو حاضرها هذا حتى انها لم تستطع تركيز اهتمامها على ما بين ايديهما.

كانت تناوله ما يطلب، فيقوم هو بالعمل بسرعة وكفاءة بالغتين، وفي خلال عدة دقائق كانت الستارة معلقة في مكانها مضيفة بألوانها المشرقة بهجة إلى الغرفة.

فقالت: «هل تظن هذه الألوان جداً صارخة؟ انني اريد

www.rewayti.net

شيئاً يدوم إلى أن تبلغ سارة الاثنتي عشرة سنة، عند ذلك بإمكانها ان تختار لنفسها.» فأجاب وعيناه تحومان حول وجهها: «انها ليست صارخة وانما انثوية.» فأمسكت انفاسها وقد ابتدأت خفقات قلبها تتصاعد. لم تستطع الحركة، ولا جذب نظراتها من نظراته، وفجأة، احست بفيض تلك المشاعر تكتسحها من جديد، وتابع هو قائلاً بلطف: «انك انت نفسك انثى رقيقة.»

ازدردت ريقها بصعوبة، وهي تكاد ترتجف وقالت بلطف: «اشكرك لدفاعك عني اثناء العشاء.» كانت هذه هي الفرصة الوحيدة التي بإمكانها أن تعبر فيها له عن اعترافها بالجميل لمساندته لها.

قال: «انك زوجتي. وكان ذلك هو رأيي تماماً، فإذا لم نكن سعيدين هنا، فسنبني منزلاً لنا نحن الاثنين.»

فقالت: «ولكن جدك...»

قاطعها قائلاً: «ان جدي مازال متألماً مما اصاب إدي، وهو خائف عليّ. فهو لا يثق كثيراً بالزواج ولا يعتقد أن زواجنا سيدوم. إنني عادة اتشبث بما املك، يا ستيفاني، فإياك ان تظني خلاف ذلك. فأنا لن ادعك تذهبين، حتى ولو توسلت إليّ.» وامسك بكتفيها بشدة وهو ينطق بهذا العهد.

فهزت رأسها قائلة: «ليس لدي ما يجعلني اطلب شيئاً كهذا، يا ألبرت. انني لا اشعر بأنني متزوجة تماماً. كنت أظن شعوري سيكون مختلفاً. ربما لأن المنزل كان موجوداً على الدوام وما أنا إلا قادمة جديدة إليه.»

فقال: «نظميه إذن كما تريدين. كم دفعت لشراء هذه الأشياء؟ أهي من حصتك في الميراث؟»

فأجابت: «كلا، انني لم استلم ذلك بعد. وإنما احضرت معي بعض المال.»

فقطب حاجبيه قائلاً: «سأدفع ثمن كل ما تشترينه.»

قالت: «انني افترض أن كل ما أملكه هو ملكك ما عدا المال الذي احتاجه لعلاج جدتي. فلماذا نتخذ لأنفسنا حسابين منفصلين في المصرف؟»

نظر في عينيها قائلاً: «لن نفعل ذلك. وإنما في المستقبل حاسبي المتجر في المدينة فإن لنا حساباً في كل واحد. اخبريهم فقط انك زوجة ألبرت دوغلاس.» قالها بشيء من الغطرسة فابتسمت رغماً عنها. وقالت: «نعم، ساخبرهم بذلك.

واندفع الباب مفتوحاً بقوة، ووقف الجد جون في العتبة يحدق في يد ألبرت الممسكة بيد ستيفاني وفي وجهها المتوهج وهو يقول: «ظننت أنكما جئتما لتعلقا الستارة.»

فقال ألبرت وهو يطلق يد ستيفاني ثم ينحني ليلتقط القدوم وشريط القياس: «لقد انجزناه.»

فقال: «آه، جئت لاخبرك بأن ساندي ستقوم بزيارتنا.»

فرفع ألبرت رأسه بعنف يسأله: «ساندي لامب؟»

فأجاب الجد: «انها تريد أن ترى سارة وتناقش مسألة الحضانة. انها تقول انها قادمة بالنيابة عن والديها. انني متأكد من أنها ستأخذ معها سارة عندما تعود إلى ملبورن.»

فقال ألبرت: «حسناً، ليس بإمكانها ذلك أبداً. فقد تحدثت إلى المحامي هاتفياً منذ يومين وأخبرته عن زواجي. فطمأنني إلى أن هذا هو كل ما نحن بحاجة إليه لنحصل على الحضانة.»

www.rewayti.net

فسألت ستيفاني: «ومن هي ساندي هذه؟»

أجاب جون: «انها أخت كلير وخالة سارة وهي تريد أن تأتي لزيارة ابنة اختها. هكذا قالت. اراهن على ان قصدها هو رؤيتك انت يا ألبرت.»

فقطب ألبرت جبينه قائلاً: «اشك في ذلك. فقد انتهى كل شيء منذ زمن طويل.»

شعرت ستيفاني بالخوف يقبض نفسها. فسألت بلطف وهي تكاد تشعر بالخوف من الجواب: «ما هو ذاك الذي انتهى؟»

فقال جون متلذذاً وعيناه على ألبرت وكأنه يريد أن يرى ردة الفعل عنده: «لقد حاولت ساندي جاهدة اجتذاب ألبرت عندما كان ألبرت خاطباً لكلير، حتى لقد ظننت فترة أن العرس سيكون مزدوجاً.»

فقال ألبرت: «ولكن ذلك لم يحدث. وقد اصبح جزءاً من الماضي.» ثم اتجه نحو الباب هابطاً السلم.

فوقفت ستيفاني جامدة تستمع إلى خطوات ألبرت، عند ذلك نظر إليها جون قائلاً: «كان ذلك سيكون انسب له. فإن ساندي هي خالة سارة، وألبرت هو عمها. فهناك رابطة الدم.»

الفصل الرابع

بقيت ستيفاني جامدة في مكانها وقد تملكها الذهول لما سمعت. ألبرت وساندي؟

وإذا جاءت ساندي لزيارتهم، هل من الممكن أن يخطر في بال ألبرت أنه قد أخطأ؟ هل يا ترى سيفكر بأن من الأفضل أن تشترك معه خالة سارة في تربيتها، بدلاً من امرأة غريبة قادمة من أميركا؟ وهل ستعرّض ساندي تلك الاتفاقية للخطر بشكل ما؟

مضت أيام لم يأت فيها أحد على سيرة زيارة ساندي لهم. وأخذت ستيفاني تشغل نفسها بتزيين غرفتها وغرفة سارة. ربما كان قلقها للاشيء. وأنهت وضع الورق الجديد على جدران غرفة سارة. كانت ستيفاني تبتهج كلما دخلت غرفتها كل صباح ورأت تلك الزينات المشرقة، بينما الطفلة السعيدة في انتظار من يحملها. كما طلت غرفتها هي باللون الأزرق الفاتح تتخلله حواش بيضاء. وكانت الستائر بيضاء ذات كشاكش زرقاء. وأضاف غطاء السرير الأزرق الباهت مع الوسائد البيضاء شعوراً بالبرودة إلى جوّ الغرفة. واشترت سجادة كبيرة كحلية اللون، كما علقت على الجدران رسومات تلفت النظر، وعندما علقت آخر لوحة تراجعت لتشمل بنظراتها منظر غرفتها العام بزهو. فقد كانت جميلة حقاً.

تصاعد صوت جون من الخارج يهتف بها: «ستيفاني.

www.rewayti.net

أين أنت يا فتاة؟ تعالي حالاً.» ما الذي جعله يعود بهذه السرعة؟ فقد كان ذهب هذا الصباح مع العمال بعد أن أخبرها أنه لن يعود قبل المساء. ما الذي حدث؟

وأسرعت خارجة من الغرفة تهبط السلالم بسرعة، خارجة من خلال المطبخ وقلبها يخفق. وما أن خرجت من الباب، حتى جمدت في مكانها وهي ترى ألبرت ينزل عن صهوة جواده، وقميصه ملوّث بالدم وقد ذهبت قبعته، بينما بدا وجهه شاحباً شحوب الموتى. وكان جده واقفاً بجانبه بينما وقف اثنان من العمال في الباحة وقد أمسك أحدهما بجواد ألبرت.

قال لها جون: «لقد أصيب ألبرت.» كانت إحدى كميه مبللة بالدم، بينما كان هو يتحرك بحرص وكأنه يتألم، ثم اتكأ على السرج لحظة.

أسرعت إليه مادة يديها تساعده وقد أذهلها امتقاع وجهه المخيف، وهي تهتف: «ماذا حدث؟»

فقال محاولاً تخفيف الأمر وهو يتقدم نحوها يحيط كتفيها بذراعه السليمة: «سأكون على ما يرام. لقد علق حجر بحافر جوادي، وعندما نزلت لأنزعه هيج شيء ما، قطيع الماشية.»

فقال جون وقد شحب وجهه هو الآخر: «من حسن حظه أن لم يسحقه القطيع حتى الموت.»

وتساءلت ستيفاني وهي تنظر إليه عما إذا كان عليها أن تعتني بمريضين.

وقالت بلهفة ويداها حول ألبرت تسنده في سيره: «أدخل المنزل ودعني أرى.»

قال ألبرت محتجاً: «إن بإمكاني السير وحدي.»

فقالت وهي تتحول نحو المنزل: «ربما. ولكنني هنا الآن وبإمكاني أن أساعدك.» ثم سلكا طريقهما ببطء إلى الداخل. وبينما كانت ستيفاني ترتجف من الأعماق، كانت ترسم على ملامحها مظهراً زائفاً للهدوء والقوة. لقد كان ألبرت يبدو لها حصناً منيعاً بقوته وثقته بنفسه. ولكن هذه الحادثة أظهرته رجلاً كغيره من الرجال، ومعرضاً للصدمات كأيّ شخص آخر.

قال جون: «سأبقى لأرى حالة الحصان.» فلوح ألبرت بيده موافقاً، ولكنه بقي متكئاً على ستيفاني وهما يدخلان المنزل.

امتدت السلالم أمامهما إلى ما لا نهاية، وعندما وصلا إلى الطابق الأعلى، دفعت باب غرفته داخلة معه حيث أجلسته وقد تملكها الذعر.

فقال: «إنك لست بحاجة إلى القيام بذلك، يا ستيفي. يمكنني أنا أن أغسل الدم، وأضع الضماد، ثم أتهيأ للذهاب.»

فقالت: «إبق كما أنت يا رجل. طبعاً عليّ أن أساعدك. إنك زوجي، أليس كذلك؟ هذا هو الغرض من الزواج، لكي يساعد الواحد منا الآخر. لقد وقفت بجانبي عندما هاجمني جدك، وأنا الآن أريد أن أقوم بشيء لأجلك. فأنا على دراية بالإسعاف الأولي.»

لم تكن الإصابة سيئة بقدر ما كانت تخاف. وكان النزيف قد توقف تقريباً، وربما كان توقف نهائياً لو لم يكن مضطراً إلى الركوب. لقد كانت الجروح وانكشاط الجلد محصورة

www.rewayti.net

في ذراع واحدة، هذا إلى الرضوض التي كانت تحيط بها وبجانب صدره الأيسر. وكان في فكه كدمة قد ابتدأت بالبروز كذلك. أخذت ستيفاني تنظف ذراعه بخرقة ناعمة وماء دافىء وما لبثت أن وجدت مرهماً مطهراً فأخذت تضعه على الجروح بلطف، وكانت أثناء ذلك، تسأله: «ما الذي حدث؟ هل داسك كل القطيع؟»

فأجاب: «عندما هاجت الماشية، واندفعت حولي وقعت أنا فأدركني واحد أو اثنين منها قبل أن أتمكن من الوقوف مرة أخرى.»

فارتجفت وهي تتصور هذا الجسد القوي يقع تحت حوافر الماشية الحادة. كان يمكن أن يكون الأمر أسوأ كثيراً أو حتى يقتل. وترددت لحظة طويلة وهي تحاول أن تتصور هذا الرجل القويّ ميتاً وقد ذهب إلى الابد. كلا، وقالت: «إنه انكشاط جلدي أكثر منه جروح. وقد توقف النزف تقريباً. إنني لا أظنك بحاجة إلى رؤية طبيب.» ولكن لهجتها كان يعتريها الشك. ماذا لو تلوث الجرح؟

فأجاب بصوت استعاد بعض قوته: «كلا. لست بحاجة إلى ذلك قطعاً.»

قالت له لكي تتمكن من لف الضماد حول ذراعه: «إرفع ذراعك.»

ورفع ذراعه وأخذت تلف الضماد حول ذراعه.

وهمست: «لقد انتهيت.»

وقبل أن تتحرك مبتعدة، كان هو قد أمسك بها قائلاً لها يطمئنها: «سأعود صحيحاً معافى خلال يوم أو يومين.»

فقالت: «أظن قميصك قد تلف تماماً.» وتلاقت عيونهما،

وكاد قلبها يكف عن الخفقان للشوق الذي أحسته في نظراته.

نظر إليها برقة ثم همس إليها: «أشكرك.»

وجاءهما صوت جون صاعداً السلم: «ألبرت. هل أنت بخير؟»

فتراجعت ستيفاني إلى الخلف متسعة العينين ما جعل ألبرت يضحك لمظهرها هذا. وهتف يجيب جده: «نعم يا جدي. إنني بخير.»

وعندما دخل جون كانت ستيفاني في الحمام تقفل صندوق الإسعاف فنظر إلى حفيده، ثم إلى ستيفاني وما زال القلق يلوح في عينيه، وقال له: «لقد أفقدني الخوف عشر سنوات من عمري عندما رأيتك تسقط.»

فأجاب: «نعم. ولكن الحصان هو من النوع الأصيل. لقد بقي واقفاً بجانبي فلم يكن أمام الماشية إلا أن تستدير حولنا. سأرتدي قميصي ثم أخرج حالاً.»

فهتفت ستيفاني: «آه، كلا. إنك لن تفعل ذلك. انك سترتاح بقية هذا النهار، ثم ترى حالتك غداً قبل أن تذهب إلى العمل مرة أخرى، ذلك إنك إلى جانب إصاباتك في ذراعك، تبدو وكأنك أصبت بضربة على رأسك إذ تبدو عليه كدمة.»

فقال ألبرت: «كلا... اسمعيني...»

فقاطعه الجد قائلاً: «إفعل ما تقوله لك يا ولدي. فالنساء تحب أن تظهر اهتماماً زائداً بالرجال من وقت لآخر. فاستمتع بذلك قدر إمكانك.» وغمز بعينه بشكل غير متوقع.

فصرف ألبرت بأسنانه قائلاً: «لا أريد اهتماماً زائداً بي. ولا أريد أن تتراخى عزائمي لمجرد حادثة تافهة كهذه.»

www.rewayti.net

فقالت ستيفاني: «تافهة؟ هه؟ إنها أهم من أن تكون تافهة. هذا إلى أن كل شخص بحاجة إلى اهتمام زائد الآن، وبعد الآن. لقد كدت أموت خوفاً عندما رأيت كل ذلك الدم. أظن عليك أن ترتاح الآن ثم ترى كيف ستكون عليه حالتك فيما بعد.» وكانت تتكلم بحزم. إنها لن تسمح له بتعريض صحته للخطر وذلك لمجرد شعور أخرق بأن يعود الآن إلى العمل.

فقال الجد ضاحكاً لمنظر هذه المرأة الجميلة الرقيقة وهي تقف بحزم أمام هذا الرجل الذي يشرف عليها بقامته الفارعة: «عليك أن تخضع لذلك يا فتى، فالنساء يعجبهن أن يحصلن على ما يردن مرة كل فترة ولن يضرك الاستمتاع بذلك.»

فقال ألبرت بلهجة لاذعة: «هل عليّ أن أخضع لكل هذا في كل مرة أصاب فيها بخدش صغير؟»

قالت ستيفاني: «خدش صغير؟ إن الذي سمعته هو أن الماشية كادت تسحقك بأقدامها. نعم، في كل مرة تصاب فيها عليك أن تخضع لمثل هذا وأكثر.»

فحدق ألبرت فيها وقد لوى شفتيه وكأنه يمنع نفسه من الضحك. ثم قال: «حسناً جداً. تعالي واهتمي بي.» وحرك حاجبه بوقاحة بشكل عابث، فجمدت في مكانها ولم تستطع أن تنطق بكلمة.

وأخيراً تنحنحت قائلة: «أظن من الأفضل أن تستلقي في سريرك فقط إلى أن يحين موعد العشاء.»

فتمتم وهو يمعن النظر إليها: «أحسن وأحسن.» وقهقه جون ضاحكاً وهو يرى احمرار وجهها عندما قال ألبرت

يخاطبه: «نرجو منك الإذن، يا جدي، فإن ستيفاني تريد أن تهتم بي.» ثم اقترب منها وعيناه تتراقصان هزلاً وهما متعلقتان بعينها ساخراً متحدياً.

وهنا صرخت سارة منادية من غرفتها. عند ذلك ابتسمت ستيفاني قائلة: «إصعد إلى السرير يا زوجي العزيز وسنحضر إليك، أنا وسارة، شيئاً من حساء الدجاج.» ثم انطلقت هاربة قبل أن يتمكن من التفوّه بكلمة، فقد شعرت بالسرور إذ أراحها صراخ الطفلة من ذلك الموقف. كانت الأمور تتحرك بشكل أسرع مما يمكنها مجابهته.

أنزلت ستيفاني سارة من سريرها وأجلستها مع ألعابها تلهو بها، ومن ثم نزلت إلى المطبخ لترى ما بإمكانها أن تفعله لأجل ألبرت، وعندما عادت إلى غرفته بعد فترة حاملة ابريقاً من الشاي الثقيل المحلّى وعلبة أسبرين، كان قد أصبح في السرير. وكان بنطاله ملقى بإهمال على كرسيّ هناك كما كان حذاؤه موضوعاً على الأرض ما جعل ستيفاني تتوقف عند عتبة الباب. كان ألبرت مستنداً إلى الوسائد خلفه وقد غطى نفسه بملاءة السرير البيضاء. وكادت ستيفاني أن تتعثر وهي تتقدم إلى داخل الغرفة ببطء.

قالت وهي تضع الصينية على المنضدة بجانبه ثم تخرج حبتي أسبرين من العلبة: «لم أجد أي حساء دجاج لأجلك.»

فقال: «ولماذا حساء الدجاج؟» وفي نفس الوقت كان يمسك بمعصمها مقرباً يدها من فمه يتناول الأسبرين من راحتها مباشرة.

قالت متلعثمة: «في بلادنا، حساء الدجاج يستعمل كعلاج. فإذا كنت مريضاً، يحضرون إليك حساء الدجاج.»

www.rewayti.net

فقال: «إذن، فإن علينا أن نشتري بعض المعلبات التي تحتويه، إذ لا أظن أن لدينا شيئاً منه.»

فقالت: «كلا، لا يوجد عندكم شيء منه.»

فقال بحدة مصححاً كلامها وقد ضاقت عيناه بشكل مخيف: «بل قولي لا يوجد عندنا، فهذا بيتك الآن، يا ستيفاني.»

فابتسمت متوترة وهي تقول: «حسناً.»

قالت وهي تحوّل نظراتها عنه: «ألبرت. عليّ أن أذهب لأتفقد سارة.»

فقال: «إنها بخير. فأنا لا أسمع صوتها.»

قالت: «ولكنها قد تعبث بشيء.»

سألها قائلاً: «وأين اهتمام الزوجة الزائد ذاك الذي كنت أنتظره؟» وكانت لهجته تنطق بالهزل.

فقالت متلعثمة: «أنا... ذلك... ألبرت...» وسرعان ما أغمضت عينيها لشدة ارتباكها. ما الذي سيظنه بها؟

قالت: «لشد ما كنت خائفة عليك يا ألبرت.» والتقت عيناها الجادتان بعينيه. إنها لا تكاد تعرفه، ولكنها لم تستطع مقاومة مشاعرها نحوه.

فقال: «لا تخافي عليّ يا ستيفاني، فأنا بأتم خير. إن إصابات كهذه متوقعة دوماً في المزرعة. ولكن انظري إلى جدي فهو ما زال موجوداً، بينما إدي قتل في حادث اصطدام سيارة في ملبون وليس هنا.»

فقالت: «ربما كنت قتلت لو لم يقف الحصان بجانبك ليحوّل اتجاه القطيع.»

فقال: «ربما كان ذلك وربما لم يكن، فلماذا تحملين غماً

لم يحصل بعد؟ إن اهتمام الزوجة الذي لديك بي، يعجبني. ربما سيمتخض زواج المصلحة هذا عن أكثر مما ظننت.»

وقفت وهي تقول بارتباك: «أظن عليك أن ترتاح الآن فإن لديّ ما يشغلني.»

فقال يغيّرها ساخراً: «أتهربين؟»

فقالت متلعثمة وهي تنظر إليه بحذر من حيث كانت واقفة آمنة عند عتبة الباب: «إن... إن ذ.. ذلك أكثر أماناً.»

فقال شاكياً: «إن ذراعي لم تجعلني عاجزاً.»

فقالت: «إنزل إلى العشاء إذن.» ثم خرجت من الغرفة لتهرع إلى غرفة سارة شاعرة وكأنها نجت من محنة كبرى. ولكن لم يكن ثمة نجاة لها من التفكير في ألبرت والذي كان يملأها شوقاً إليه.

وعندما عادت ستيفاني لتتفقده بعد فترة، كان مستغرقاً في النوم. فوقفت تراقبه مدة طويلة، سعيدة لأن إصابته لم تكن سيئة جداً، فاعتمادها الآن قد أصبح عليه، وقد يزداد هذا أكثر فأكثر كلما امتدت حياتهما معاً. فهي لا تستطيع احتمال فكرة أن يصيبه أي ضرر أو ما هو أسوأ.

ومع حلول وقت العشاء، كان ألبرت قد نهض وارتدى ثيابه ثم جلس معهم حول المائدة. فأخذت ستيفاني تتفحصه. وعندما كانت نظراتهما تتلاقى، كانت هي تسرع وتشيح بنظرها بعيداً، لا تريد أن تبدي له ما لا بد قد لاحظه من قلقها عليه. كان يبدو صحيحاً معافى، وقد تلاشى الشحوب من وجهه ولكن لون الكدمة على فكه كان أكثر ظهوراً من قبل.

قال جون متذمراً كالعادة: «لقد جئت لزيارتك بعد الظهر،

www.rewayti.net

ولكن الطبيبة ستيفاني لم تسمح لأحد بإزعاجك.»

فابتسم ألبرت وقال وهو ينظر إليها تضع الأطباق على المائدة: «إنها ما زالت مهتمة بي.»

فقال جون: «إنك تبدو أحسن كثيراً مما كنت.»

فقال ألبرت: «إنني أحسن فعلاً، ولكنني ما زلت أشعر ببعض التصلب.».

وانصب اهتمام ستيفاني أثناء العشاء عليه أكثر من المعتاد. فكان الأول الذي قدمت له الطعام، وكانت تتأكد دوماً من أنه يحصل على ما يريد، فتقفز لتحضر له ما يطلبه من شراب.

وعندما انتهى العشاء، وقف ألبرت ثم قال لها: «تعالي معي يا ستيفاني، فأنا أريد أن أرى الحصان، وكذلك أتحدث إليك. هل لك بأن تهتم بسارة يا جدي؟»

فقال الجد: «بالتأكيد.»

وقف ألبرت عند الباب فتقدمته خارجة. وعند اجتيازهما الفناء، ألقت عليه نظرة سريعة. كان يبدو صحيحاً كما كان هذا الصباح. ولاحظت ثخانة الضماد تحت الكم، ولكنه عدا ذلك، كان طبيعياً تماماً.

دخلا مخزن الغلال، وكانت روائح الشعير والخيل تطغى على روائح الغبار ورائحة أشجار المطاط اللاذعة التي كانت تملأ الجوّ. وتنفست ستيفاني بعمق ثم ابتسمت. لقد كانت دوماً تحب روائح مزارع الماشية. وإذا هي أغمضت عينيها تصورت نفسها في وطنها كاليفورنيا. وشعرت، لحظة بالحنين إلى الوطن.

وقف ألبرت عند حصانه دوف حيث أخذ يتفحصه. وصهل

الحصان بلطف، ثم دسّ أنفه في كتف ألبرت الذي خاطبه قائلاً: «إهدأ، يا فتى، ودعني أنظر إليك.»

فسألته ستيفاني: «هل أصابه ضرر هو أيضاً؟»

فأجاب: «نعم، بعض الجروح البليغة. لقد عالجه جدّي ولكنني لن أخرج عليه للعمل مرة أخرى إلا بعد أن يشفى تماماً. لقد كنت رائعاً اليوم يا زميلي.» وأخذ يربت على رقبته بينما كان يراقب حركاته في نفس الوقت.

فقالت ستيفاني برقة وهي تمرّ بيدها على أنف الحصان الدافىء: «لقد أنقذك حقاً، أليس كذلك؟» وغمرها نحو الحصان شعور بعرفان الجميل، فهو لو كان جمح، لفقدت ألبرت حتماً. فماذا كان سيحدث لها عند ذاك؟ وماذا كان سيحدث لسارة؟

قال لها وهو يجلسها على كيس قش: «تعالي. لقد أردت أن أتحدث إليك على انفراد وأنت تعرفين أنه ليس بإمكاننا ذلك وجدي معنا. إنني أريد أن أوافق على زيارة ساندي لنا كما طلبت. أريدها أن ترى أن سارة تعيش معنا برفاهية ورعاية تامة منا، وذلك لكي تخبر والديها بهذا. إن ساندي هي خالة سارة، وأنا لا أريدها أن تنشأ جاهلة بتلك القرابة.»

فهوى قلب ستيفاني وقد تذكرت ما سبق وأخبرها به جون من أن ألبرت وساندي كانا حبيبين معاً فترة من الزمن. هل هذا هو السبب الحقيقي الذي لأجله وافق على زيارتها لهم؟ وماذا لو اكتشف ألبرت، عندما تصل تلك المرأة، أنه ما زال منجذباً إليها؟ هل يا ترى سيغير رأيه في زواجهما هذا والذي هو زواج مصلحة؟ إن فسخ هذا الزواج

www.rewayti.net

سهل جداً. وإذا حدث ذلك، فماذا سيجري لحصتها في الإرث؟ وكيف ستتمكن من ترك سارة؟

«ستيفاني؟»

فرفعت نظراتها إليه محاولة أن ترسم على وجهها ابتسامة مشرقة وهي تقول: «إفعل ما شئت، يا ألبرت فهذا بيتك. وأنا سأبذل وسعي في الترحيب بها.»

رد عليها بحدة: «بل هذا بيتنا نحن الاثنين، وأكثر الحفاوة ستكون عليك أنت، فأنا سأكون في العمل أثناء النهار بينما ستكون هي تحت قدميك طوال النهار.»

فأصبحت ابتسامتها حقيقية. إن تعبير تحت قدميك هذا لا ينبىء عن اهتمامه بها.

سألته: «وكم ستمكث هنا؟»

فهز كتفيه وهو يقترب بوجهه منها قائلاً: «لا أدري. ليس أكثر من اسبوع.»

فسألته: «وما هي اهتماماتها؟»

أجاب: «إنها، كما أذكر، تحب مجلات الأزياء. فهي تعمل في أحد دور الأزياء في ملبورن.»

قالت: «ربما لن نجد اهتمامات مشتركة تجمعني وإياها.»

فقال بصوت رقيق متملق: «ربما كان هذا صحيحاً. فهي لم تأت إلى هذا المنزل قط من قبل، فقد كنت أراها في ملبورن فقط. إنها تحب الحفلات والرحلات والملابس العصرية، بينما أنت لا يبدو عليك الاهتمام بمثل هذه الأشياء.»

فتشابكت نظراتهما، ثم هزت رأسها وسألته: «هل علينا أن نقيم سهرة لأجلها عندما تحضر؟»

فأجاب: «سنرى ما إذا كنا سنقيم مأدبة عشاء، وسأعطيك قائمة بأسماء الجيران والأصدقاء الذين سندعوهم.»

فقالت: «آه، لقد نسيت أن أخبرك. لقد قابلت أحد أصدقائك في المدينة ذلك اليوم، ستيفن كاسيدي.»

وسرعان ما تغيّرت أساريره كما أن عينيه ضاقتا واحتلتهما نظرة عدائية تقريباً، ثم كرر قولها: «ستيفن كاسيدي؟»

أومأت برأسها وقد حيرها ما رأت من التغيير الذي انتابه، وقالت: «نعم، وقد قال إنه صديق لك.»

سألها: «وكيف تعرفت إليه؟»

أجابت: «لقد أوقفني وأنا بجانب السيارة وعرفني بنفسه. لقد تصرف ببالغ اللطف.» وتساءلت عن سبب تغير ملامح ألبرت لدى سماعه اسمه.

قال: «ابقي بعيدة عنه يا ستيفاني.»

فقالت: «ماذا؟ لماذا؟ أليس هو من اصدقائك؟»

فأجاب: «كان ذلك في الماضي. أما الآن فأريدك أن تبقي بعيدة عنه.»

فسألته بحيرة: «ولكن، لماذا يا ألبرت؟»

فقال: «إنه...»

وهنا بلغ مسامعهما صرخة ثاقبة اخترقت الأجواء، تبعها عويل طفلة صغيرة.

www.rewayti.net

الفصل الخامس

قفزت ستيفاني من مكانها، ثم ركضت خارجة من المخزن نحو مصدر الصوت، وألبرت بجانبها، وكان آتياً من أمام المنزل. كانت سارة تصرخ والدموع تبلل وجنتيها. وكان جون يحتضنها بشدة محاولاً تهدئتها. وسألته ستيفاني لدى وصولها: «ما الذي حدث؟» فاندفعت سارة نحو ستيفاني ثم تشبثت بعنقها بقوة، وبعد ذلك هدأ الصراخ وأخذت تبكي كمن يعاني ألماً.

قال جون: «لقد لسعها شيء ما، ربما نحلة.» وأمسك بقدمها وأخذ ينظر في البقعة البيضاء الصغيرة البادية في تلك القدم الملوثة بالتراب.

أخذت ستيفاني تهدهد الطفلة وهي تسرع بها نحو المطبخ، وتقول لها: «فلنغسل لك قدمك يا حبيبتي ثم نرى ما هناك.» وفي دقيقة واحدة كانت القدم قد غسلت وانتشل ألبرت منها الحمة الصغيرة التي كانت سببت المشكلة، وإن يكن بكاء سارة لم يتوقف كما أن مكان اللسعة ظل احمر اللون.

أخذت ستيفاني تمسد ظهر الطفلة تسكتها، وتمسح دموعها، ثم تمعن النظر في مكان اللسعة وهي تسأل: «هل ستتحسن حالتها؟»

فأجاب ألبرت: «اظن ذلك. سأحضر لها مضاداً للحساسية. حاولي انت أن تجعليها تكف عن البكاء.»

وغاب لحظات عاد بعدها بحبة دواء سرعان ما سحقها ثم وضعها في ملعقة وأضاف إليها بعض الماء ثم مد بها يده إلى الطفلة لتشربها. ولما نفرت من ذلك، أخذ يلاطفها متملقاً إلى أن ابتلعت الدواء في النهاية. وبدت اجفانها منتفخة، ولم تعلم ستيفاني ما إذا كان ذلك من البكاء أم من الحساسية التي خلّفتها اللسعة. ولكنها ما لبثت ان اخذت انفاسها تصفر.

قالت ستيفاني تخاطب ألبرت: «ان حالتها تسوء، يا ألبرت. أليس من الأفضل أن نعرضها على طبيب؟»

أجاب: «ان اقرب طبيب هو في مدينة اديلايد وهي على مسافة ساعة من هنا. أظن الدواء المضاد للحساسية سيفيدها، ولكنه بحاجة إلى بعض الوقت لتظهر فعاليته. وربما أفادها كمادات باردة.» وخامر ستيفاني شيء من الخوف لردة الفعل السريعة في جسم سارة للسع النحل. ولكن ألبرت بدا هادئاً واثقاً. فاستمدت منه القوة وهي تتناول المنشفة المبللة بالماء البارد التي قدمها لها وابتدأت تمسح وجه الطفلة وجسدها.

وفي المطبخ، أجلست ستيفاني الطفلة على كرسي وابتدأت تهزها، وهي تقول لالبرت: «إننا بحاجة إلى كرسي هزاز.»

فسألها بلطف: «وهل هذا علاج آخر من كاليفورنيا؟ انها ستكون بخير. انتظري فقط إلى أن يسري مفعول الدواء.»

فقالت: «وإذا لم يحدث هذا؟»

فقال: «عند ذلك نستدعي الطبيب.»

فقالت: «إن العيش في مثل هذا المكان النائي ليس من

www.rewayti.net

السهولة التي كنت أظنها. فأنا لم أكن أدرك مقدار بعد العناية الطبية.» ذلك أنهم احتاجوا إلى هذه العناية مرتين في هذا النهار. لقد كان الطبيب في كاليفورنيا لا يبعد عنهم اكثر من خمس دقائق. ولكنها لم تعد في كاليفورنيا الآن.

وقال يخاطبها: «قلت انك تعلمت الإسعاف الأولي، وكذلك نحن جميعاً. ان بإمكاننا أن نستدعي الطبيب المتجول عند الضرورة، أو أن نذهب إلى المدينة بالسيارة.»

فتمتم جون: «ياليت كان هذا بهذه السهولة عندما مرضت زوجتي روز، فلو كنا استطعنا إحضار طبيب إليها بسرعة، لما ماتت.»

فقال ألبرت عندما توقفت سارة عن البكاء: «ها هي ذي تتحسن.» وكأنما أعجب الطفلة ما رأته حولها من اهتمام بها، فالتصقت بصدر ستيفاني وهي تنظر إلى عمها بخجل.

قال ألبرت: «اظن الأزمة انتهت.»

قال جون وهو يخرج من الغرفة: «مادامت الأزمة قد انتهت، فأنا ذاهب إلى المكتب. ناديني إذا شعرتما بحاجة إليّ.»

قال ألبرت عندئذ لستيفاني: «إنني بحاجة إلى أن تتعود عليّ طفلتي. لقد ابتدأت بالاجراءات القانونية التي تجعل من سارة ابنة لنا، ما يمنحها الشعور بالإستقرار إذ تدرك أننا أبواها وليس مجرد عم وعمة.»

فأومأت برأسها مدركة أن ألبرت يزيد من توثيق العلاقة بها. انه لن يهجرها في المستقبل، ولا في أي وقت كان، كما أنه لن يكون مثل مايكل. وجابهتها حقيقة ذلك وهي تراه يحمل الطفلة. لقد كان إلى قوته وكبر جسمه، يعاملها بكل

رقة ومحبة، وتاقت نفسها فعلاً إلى تلك الرقة والمحبة. وغامت عيناها بالدموع فأشاحت بوجهها كي لا يراها. هل من الممكن أن تكون وقعت في غرام زوجها؟ انها تتمنى أن لا يكون ذلك، فقد كان في منتهى الوضوح حين قال لها انه لا يريد أن تحبه امرأة ومن الأفضل لها أن تتذكر مايكل وخيانته. فهذا سيهدىء من أي شعور بالحب قد يساورها.

وعاد ألبرت يقول: «إذن، فأنت موافقة على أن نكون لها أباً وأماً؟»

فأجابت بلطف وهي تحبس مشاعرها بينما فتحت الصنبور لتتدفق المياه في الحوض: «نعم. إنني موافقة.»

أخذ ألبرت وستيفاني يلعبان مع سارة إلى أن حان وقت نومها. وعندما وضعتها ستيفاني في سريرها، خرج الاثنان من غرفتها مغلقين الباب خلفهما. وقال ألبرت وهما يتجهان نحو السلم: «لقد اتصلت هاتفياً بساندي بينما كنت تغسلين الأطباق وهي ستكون هنا في نهاية الأسبوع القادم.»

فقالت: «ابهذه السرعة؟ وكم ستبقى هنا؟» وأخذت تفكر في أنه لم يكتمل الأسبوع بعد على زواجهما، وها هما يتوقعان ضيوفاً.

أجاب: «ستمكث اسبوعاً.»

وخطر لستيفاني خاطر مفاجىء، فتوقفت، ثم رفعت بصرها إلى ألبرت الذي توقف بدوره ينظر إليها مستطلعاً.

وسألته: «وأين ستنام هي؟»

أخذ يحدق فيها في عتمة القاعة وقد بان الغموض في ملامحه، فأخذ قلبها يخفق بعنف. ثم قال: «في غرفتك، أما

www.rewayti.net

أنت فستنامين معي في غرفتي.» وكانت نظراته تتحداها أن تقدم حلاً آخر. ذلك أن الغرف الأخرى في المنزل لم تكن مؤثثة على الإطلاق. وهكذا لم يكن ثمة مكان آخر تنام فيه ساندي. وتابع قائلاً: «من المهم جداً أن تعتقد ساندي أن زواجنا ثابت متين. لا أريد أن يحول حائل بيننا وبين حضانة الطفلة. فهي تتوقع أن تنامي معي. إنني آسف لحضورها السريع هذا، ولكن هذا سيحدث على كل حال سواء عاجلاً أم آجلاً.»

كان كلامه منطقياً، خصوصاً إذا كان عليهم اقناع ساندي بترك سارة معهما، ولكن المنطق شيء، والواقع شيء آخر. فهي لم تستطع أن تهضم فكرة أنه يريد منها أن تشاركه غرفته في غضون أيام قليلة.

اقترب منها ألبرت وهو يتمتم: «لقد حان الوقت لتحقيق زواجنا عملياً، يازوجتي. ويجب أن تعلمي انك لي طول الحياة.»

ارتجفت وهي تفكر في قوله هذا. أتراه سيمتلكها؟ ولكنه زوجها وله كل الحق في ذلك، ولكن زواجهما هو زواج مصلحة وليس نتيجة حب. فلماذا تغيير الأمور؟

وأخذ يحدق فيها بعينين ضيقتين، متأملاً ضيق تنفسها وتوهج وجنتيها، والإضطراب والذعر اللذين رآهما في عينيها. ثم قال: «هل تريدين أن تنتظري إلى أن تأتي ساندي، يا ستيفي، أم تأتين إلى غرفتي الليلة؟»

شعرت لجزء من الثانية، بأنها تريد ذلك، فليس ثمة ما يمنع. إنها تريد أن ترى نتيجة كل هذا المشاعر التي تحس بها، وإلى أين تؤدي بها.

هزتها هذه الفكرة هزتها واخافتها، فتراجعت إلى الخلف وهي تحدق فيه بذعر. ليس ثمة حب بينهما. وربما لن يكون أبداً. انها تحترمه وتكن له بالغ المودة. ولكن هل يكفي هذا؟

وقالت بصوت رقيق: «كلا... بل افضل الإنتظار.» كانت تشعر بالخوف من تحقيق ذلك دون حب من أي منهما، كانت خائفة من المستقبل.

وجذب هو نفساً عميقاً، ولكنه لم يجادلها في ذلك، بل أومأ بصمت، ثم تركها وتحول ينزل السلم متثاقلاً، وبقيت هي واقفة تحملق في أثره متسائلة عما إذا كانت أخطأت في تصرفها.

عندما غادرت ستيفاني الحمام تلك الليلة بعد أن مكثت مدة طويلة في الحوض المليء بالماء الدافيء، كانت تشعر بالإسترخاء والنعاس. فقد كان يوماً حافلاً. وكانت ترتدي البيجامة القطنية وقد جمعت شعرها أعلى رأسها لتحفظه من البلل.

كان ألبرت متكئاً على الجدار بجانب غرفتها، وترددت حين رأته، ثم اتجهت إلى غرفتها ببطء وقد بدت عليها علامات الإرهاق. وعندما تلاقت اعينهما، تذكرت أول مرة رأته فيها في المطار. لم يكن يرتدي قبعة الآن وكان شعره القاتم يلمع في ضوء الردهة.

سألته وهي تقف بجانب بابها: «هل تريد شيئاً؟»

فأجاب: «أريد فقط أن اشكرك لعنايتك بي وبسارة هذا النهار. لقد كان عملك ممتازاً.»

كان صوته بالغ الرقة. وأجابته قائلة: «إنني مسرورة

www.rewayti.net

لرأيك هذا. إنني لم اكن ادرك، في الواقع، مبلغ بعدنا عن الطبيب.»

فقال: «لقد استطعنا التصرف بشكل حسن لسنوات عديدة، وسنتمكن من ذلك في المستقبل.»

فأومأت برأسها، شاعرة بعدم الرغبة في تركه، ولكن دون أن تستطيع النطق.

وسألته: «هل تريدني أن أفحص الضماد؟»

فابتسم، وهو يقول: «ليس الآن. لقد شعرت بالفخر بك أيتها الأميركية. لم يتملكك الذعر ولكنك تصرفت وكأنك نشأت في هذا المكان. انك رفيقة ناجحة.» وأفرحها صوته وقد سرت البهجة لما سمعت في كيانها. لقد ملأها هذا الإطراء منه لها، بالزهو.

وتابع قائلاً: «اننا هنا نعتمد على أنفسنا، اكثر مما يفعل سكان المدن.»

قالت: «ذلك لبعدكم عن الطبيب.»

قال: «هذا صحيح. اظننا سننجح، يا ستيفي.» ثم اجتاز الردهة ومضى إلى غرفته.

وقفت جامدة في مكانها دون أن تتمكن من الحراك، شاعرة بالدوار قبل أن تتحول، في النهاية لتنشد الأمان في سريرها.

ومع مرور الأيام، اخذ يزداد تأثر مشاعرها لوجود ألبرت بجانبها. فكان احياناً يستند إلى الجدار متحدثاً إليها ببساطة أثناء غسلها الأطباق، ويحرص على أن يكون موجوداً كل ليلة ليضع معها سارة في فراشها.

وذات مساء، حين كان يراقبها وهي تغسل الأطباق،

نظرت إليه بخجل قائلة: «هل تدرك أنه مر على زواجنا الآن اسبوع تقريباً؟»

فأومأ برأسه وقد بان الاهتمام فجأة في عينيه، وتابعت هي تقول: «ومع هذا أشعر بأن الواحد منا لا يعرف عن الآخر اكثر مما كان يوم وصولي من بلدي.»

هز كتفيه قائلاً: «ان امامنا وقت نتعرف فيه إلى كل شيء، وهذا يجعل الحياة اكثر متعة. ماذا تريدين أن تعرفي بالتحديد؟»

أجابت: «لا أدري.» ثمة ألف سؤال تتطلب أجوبة. فمن أين تبدأ؟ وسألت: «هل كنت ترغب دوماً في إدارة المزرعة؟»

أجاب: «نعم.»

نظرت إليه مترقبة وهي تنشف الطبق: «نعم فقط؟ هلاّ اسهبت في شرح تفاصيل ذلك؟»

فضحك قائلاً: «وكيف تريدينني أن أسهب؟»

فقالت: «أن تقول مثلاً، (نعم، لقد أردت أن ادير المزرعة لأنني احب الأبقار) أو شيئاً كهذا.»

فقال: «ستيفاني، ليس هناك من يحب الأبقار. فهي غبية وتسبب كثيراً من الإزعاج.»

قالت: «ربما أنت تحب الانطلاق في البراري إذن.»

أجاب: «نعم.»

فقالت: «آه يا ألبرت. كيف لي أن اعلم عنك اي شيء إذا كانت كل أجوبتك هي نعم.» وضربت بقدمها الأرض وقد بانت عليها خيبة الأمل ما جعله يضحك منها، ثم يمد يده يأخذ منها منشفة الأواني فيضعها جانباً ثم يقودها خارجاً إلى الفناء ومن ثم إلى الطريق العام، حيث قال: «ما رأيك في

www.rewayti.net

أن نتمشى قليلاً أخبرك اثناءها عن كل ما تريدين معرفته؟»

أجابت بخشونة بعد إذ ساءها أن يضحك منها قائلة: «لا بأس.»

فابتدأ قائلاً: «عندما كنت غلاماً يافعاً، استولت عليّ فكرة أنني سأدير المزرعة يوماً ما، ولكن أبي كان يسكن هنا عندما كنت أنا صبياً، وكان طبيعياً أن افكر في أنه سيستلم المزرعة من جدي وسأتبعه أنا، أو سنتبعه أنا وإدي. وفي السنوات الأخيرة عملنا معاً. ولكن أبي رحل إلى ملبورن عندما ذهبت أنا إلى الجامعة.»

فسألته: «لماذا؟ ألم يكن يحب العيش هنا؟»

أجاب: «لقد كانا، هو وجدي، متضادين على الدوام، وبجانب ذلك، أظن أن شيئاً في قلبه قد تحطم عندما هجرته أمي، فانتظر إلى أن كبرنا تقريباً وصار بإمكاننا الإستغناء عنه، ثم رحل.»

فسألته: «وهل رحلت أمك عندما كنت أنت صبياً صغيراً؟»

أجاب: «نعم. لقد كان إدي طفلاً رضيعاً، وكنت أنا في حوالي الرابعة.»

فعادت تسأله: «هل كانت جدتك في ذلك الوقت متوفية؟»

أجاب: «نعم. لقد ماتت قبل أن يتزوج أبي بوقت طويل. لقد انتقل أبي إلى ملبورن ليدير شركة سفن، مفضلاً ذلك على الماشية. ويبدو أنه وجدي، قد اصبحا الآن اكثر تفاهماً كذلك، وهو الذي عرّف إدي بكلير زوجته.»

قالت: «كنت أتساءل كيف تعارفا.»

أجاب: «لقد بقي إدي شهوراً يمضي هناك أوقاتاً اكثر مما يمضي هنا، ومن سوء الحظ أن كلير ظنت أن الحياة هنا

ستكون كما كانت أثناء شهور الحب والغزل، لتجد أن الأزهار وحفلات العشاء والرحلات قد انتهت لتبدأ الحياة الحقيقية.»

سألته: «اتراها شعرت بالحنين إلى الحب الشاعري؟»

أجاب: «لقد شعرت بالحنين إلى جو المدينة. كان على إدي أن يدرك أنها غير مناسبة للحياة هنا. كانا يتشاجران على الدوام. كانت تريده أن يذهب للعمل مع أبي. ولكنه كان مغرماً بالمزرعة، ويريد العمل فيها. كانا غارقين في الحب ولهذا اصرا على الزواج. أظن من الأفضل لو لم يتزوجا.»

لم تعرف ستيفاني ماذا تقول، فكرت في أمها وكيف كانت حياتها مليئة بالمشاعر والإضطراب، وكل ذلك باسم الحب. أتراها كانت مثل كلير؟

وقالت توافقه: «انهم يعطون الحب أهمية اكثر مما يستحق.»

فقال: «انك تقولين ذلك بالنسبة إلى أمك، أليس كذلك؟»

أجابت: «نعم.»

فزم شفتيه وهو يراها تحصر جوابها بنفس الكلمة التي سبق واستعملها من قبل. ولكنها ضحكت منه تتحداه أن يعترض.

قال آمراً: «اخبريني عنها.»

قالت: «ليس ثمة الكثير ليقال. انها ميتة الآن.» وكان صوتها وهي تنطق بذلك جامداً كعادتها كلما أتت على ذكر والدتها، تزيح بذلك الألم الذي كان يرافق هذه الذكرى.

www.rewayti.net

ولكن ألبرت أصر على السؤال: «هل كنت تعيشين معها في حداثتك؟»

أجابت: «لقد تطلق أبي وأمي عندما كنت صغيرة، فعشت معها. لقد تزوجت ست مرات من بعد أبي. ونالت حق حضانتي، ولكنها كانت ترسلني إلى جدتي على الدوام. وعندما تركت كلية الدراسة جعلت مقر إقامتي مع جدتي.»

سألها: «وبعد ذلك؟»

أجابت: «وماذا بعد ذلك؟ إن الحب وهم. وكانت تفتش عنه باستمرار. فلم تشأ أن تدعني اعيش معها. خصوصاً عندما كبرت أنا وكانت هي تحاول جهدها أن تبدو اصغر من سنها.»

سألها: «وهل هذا هو السبب في أنك لم تتزوجي؟»

فقالت: «ولكنني متزوجة.»

فقال وقد فرغ صبره: «عنيت قبل أن نتزوج.»

قالت: «نعم. انها لم تكن مثالاً للوفاء الزوجي. فقد تزوجت ست مرات. فهي تبقى إلى أن تتعسر الأمور، عند ذلك ترحل. أو يرحل زوج الشهر الواحد. الحب لا يدوم أبداً، بالنسبة إليها. ولكنها ليست السبب الوحيد لعزوفي عن الزواج، فقد كنت مخطوبة مرة. وكنت أظن أنني سأتزوج واعيش بعد ذلك سعيدة. ولكنه لم يكن من النوع المخلص. ومن حسن حظي أن اكتشفت ذلك قبل الزواج وليس بعده.»

سألها: «من هو؟»

قالت: «اسمه مايكل اولان، وكان متعهداً لاستيراد البضائع لأحد المخازن في لوس انجلوس.»

سألها بخشونة: «وهل احببته؟»

أجابت: «ظننت نفسي أحبه. ولكن نسيانه لم يأخذ مني وقتاً طويلاً، ولهذا لا أظن انني احببته حقاً، وأظن أنه أثّر فقط على مشاعري.»

فقال: «انك إذن لم تعرفي الحب أبداً.»

قالت بمرارة: «ربما ليس هناك شيء يدعى الحب الحقيقي.»

فقال: «الحب هو تفتح في المشاعر مفروض أن يثمر أحسن العلاقات. ولكن هذا لا يحدث. لقد كنت أنا نفسي خاطباً مرة، منذ مدة طويلة. لقد فسخت الخطبة عندما اكتشفت علاقة لجنيفر مع رجل آخر. ربما نحن الاثنين، متشابهين في هذا الشيء.»

فقالت: «ان البعض يعيشون حياة زوجية سعيدة.»

قال: «انهم ليسوا كثيرين، هذا إدي مثلاً. لقد كان يحب كلير ولكنهما كانا يتشاجران طوال الوقت، كانت هي تدّعي انها تحبه، ولكنها تركته لتفتش عن حياة اكثر صخباً. وأمي هجرت أسرتها لأنها لم تشعر بأنها محبوبة تماماً.»

فقالت برقة وحزن: «ان دوام زواج ما، هو شيء عجيب.»

قال: «ان زواجنا سيدوم لأنه مؤسس على احتياجات مشتركة. وليس على مجرد مشاعر هائمة.»

فتسارعت دقات قلبها، وألقت نحوه بنظرة سريعة. كان صحيحاً أن لهما احتياجات مشتركة، ولكن ما بينهما كان اكثر من ذلك. لقد كانت تحب وجودها معه، وكانت تنتظر انتهاء النهار لكي تراه. كانت تشتاق إليه، إلى كلماته وأحاديثه. إن مجرد مغازلات قليلة بينهما أثارت إعجابها

www.rewayti.net

فكيف لو أنه وقع في حبها؟ هل سيجعل هذا زواجهما أفضل؟

قال: «إذا كنا صادقين مع بعضنا يا ستيفاني، فستكون حياتنا معاً طيبة، دون كل تلك المشاعر المتقلبة التي يسمونها الحب.»

فأومأت برأسها شاعرة بخيبة الأمل. ربما كانت ذات قلب شاعري دافىء، ولكنه كان نزيهاً معها. عليها أن تجعل من زواج المصلحة هذا علاقة تدوم الحياة كلها.

وعندما عادا إلى المنزل، توجه ألبرت رأساً إلى المكتب. فأخذت تنظر إليه وهو يبتعد، تتأمل كتفيه العريضتين وخطواته الواثقة. وأخيراً قررت أن شيئاً من الحب بينهما لن يؤدي إلى أي ضرر.

مسحت ستيفاني يديها بجانب بنطالها شاعرة بالعصبية من المقابلة المنتظرة، وقفت خارج المكتب تتأمل الباب وهي تسحب نفساً عميقاً. فهي قد أتمت هنا الأسبوعين تقريباً. ومنذ تلك الليلة الأولى وصراحة جون معها جعلتها تتجنبه قدر إمكانها. ولكنها الآن جاءت تريد مقابلته.

وسحبت نفساً آخر عميقاً، ثم نقرت على الباب المفتوح، ناظرة إليه وهو يستدير من امام الكمبيوتر ليراها واقفة بالباب. وكما كانت تتوقع، بان العبوس على ملامحه لدى رؤيته لها.

سألته بصوت حاولت أن لا يبدو مرتجفاً: «هل استطيع الكلام معك لحظة؟» كانت تحاول دوماً أن تبدو قوية إزاءه بعكس ما كانت تشعر به فعلاً.

أومأ برأسه وهو يشير إلى كرسي امام المكتب، فأغلقت

ستيفاني الباب خلفها بحذر ثم سارت نحو الكرسي. استند إلى الخلف وهو يتأملها قائلاً: «أهو حديث خاص؟ اتريدين الخروج؟»

فهزت رأسها نفياً وهي تجلس على حافة الكرسي قائلة: «كلا، لا أريد الخروج. انني اعلم انك لا تراني مناسبة لالبرت. ولكنني أحاول جاهدة أن اكون زوجة صالحة له. فأنا لست فتاة عابثة جئت لآخذ نصيبي من ميراث كاثرين ثم ارحل. لقد التزمت بعهد وسأحافظ عليه. وهذا ليس سبب قدومي إليك، وإنما اريد ان اعرف ما هو نوع الكيك المفضل لدى ألبرت.»

عند ذلك استقام جون في جلسته وهو ينظر إليها مبهوتاً، ثم سألها: «الكيك المفضل؟»

أجابت: «نعم، فاليوم هو، كما تعلم، ذكرى مولده، وقد قررت أن اقدم له كيك مكان الحلوى بعد العشاء هذه الليلة. وأظنك ستقدم له الهدايا بعد العشاء مادمت لم تقدمها بعد الفطور.» كانت تتحدث باندفاع وهي تحدّق فيه بهدوء، بينما قلبها يخفق قلقاً. فهي لا تدري ماذا ستفعل لو أنه سخر منها.

هز جون رأسه وهو يقول: «ذكرى مولده؟ إننا لا نفعل الكثير في هكذا مناسبات.»

قالت: «إنني لن أقوم بالكثير. سأصنع فقط الكيك الذي يحبه، والبفتيك للعشاء. فأنا اعرف أنه يحبه.»

سألها: «هل هذا من جملة ذلك الاهتمام الذي كان يتحدث عنه؟»

ابتسمت قائلة: «هذا ليس بالكثير. مجرد كيك.»

www.rewayti.net

قال: «ولكنه سيكون اكثر مما ناله قط في حياته.»

فنظرت إليه بذهول وقالت: «ماذا تعني؟»

أجاب: «عنيت ما أقوله. فنحن لا نقوم بشيء في ذكرى ولادة الأشخاص.»

فهتفت: «أبداً؟»

قال: «ربما عندما كان طفلاً قبل أن ترحل أمه. كان ذلك منذ وقت طويل لا اتذكره.»

قالت: «حسناً، إنني أريد أن اصنع له كيك، واريدها أن تكون النوع الذي يحبه.»

فقال: «الشوكولاته. إنه دوماً يحضر هذا عندما يذهب إلى مكان ما.» وسكت يتأملها وكأنه لم يرها من قبل، ثم تابع قائلاً: «اتعلمين أن ساندي لامب ستصل غداً؟»

فأومأت برأسها. وهل تستطيع أن تنسى؟ لقد كان الخوف يملأ نفسها لهذا.

وسألها: «وهل بإمكانك التعامل معها؟» فأمعنت فيه النظر لحظة وهي تتساءل عما إذا كان قد تكهن بخوفها من هذه الزيارة. ثم قالت بهدوء: «أظن ذلك.» انها ستسعى جهدها مهما كان الأمر. وهل بإمكانها اكثر من ذلك؟ ووقفت تستعد لمغادرة مكتبه، فقد انجزت ما جاءت لأجله.

عندما وصلت إلى الباب، أوقفها جون قائلاً: «انني سأذهب إلى المدينة بعد قليل. وسأحضر إليك الكرسي الهزاز الذي كنت اشرت إليه ذلك النهار.»

فأومأت برأسها وهي لا تدري ما تقول. وفتحت الباب لتخرج منه، تاركة إياه مفتوحاً قليلاً، ومن ثم اتجهت نحو المطبخ. هل كان يعني بذلك هدية الصلح؟ وساورها خاطر

مفاجيء فاستدارت على عقبيها تنظر إلى الباب المفتوح فانتبه إليها، فسألته: «هل من الممكن أن تحضر لي معك بعض الشموع أيضاً لأجل الكيك؟»

فأومأ وهو يعود إلى شاشة الكمبيوتر. وخيل إليها لحظة أنها ترى في عينيه نظرة هازلة. وكانت قد اعتادت هذه النظرة في عيني ألبرت.

www.rewayti.net

الفصل السادس

صنعت ستيفاني كيك الشوكولاتة دسماً رائعاً. وبالغت في تهوية المطبخ لكي لا تكشف الرائحة، المفاجأة. وجعلت سارة تلعق الوعاء الذي استعملته في مزج المواد وهي تضحك لتلطيخ الطفلة وجهها بالشيكولاتة. وشعرت بالسرور لعدم حضور ألبرت للغداء. ذلك أن نظرة واحدة إلى سارة ستفضح كل ما حرصت على كتمانه.

وتأنقت قليلاً للعشاء إذ ارتدت ثوباً ناعماً أزرق اللون، ذا باقة من الدانتيل واسعة. وجعلت شعرها مسترسلاً على ظهرها بتموجات لامعة. وعندما نزلت الدرج كانت مسرورة بما صنعت.

ساد جوّ العشاء روح طيبة حتى أن ستيفاني لم تشعر بأي عداء نحوها من جون. لم يكن ودوداً بشكل خاص وإنما فقط غير عدائي. وقد استمتع، وكذلك ألبرت بالعشاء. وعندما أخذت ستيفاني ترفع الأطباق قالت: «انتظرا، فإن لديّ شيئاً لكما.» واتكأ جون إلى الخلف في كرسيه وأخذ يراقب وجه ألبرت.

فنظر إليه ألبرت يسأله: «هل ثمة شيء خطأ؟»

فأجاب جون وفي عينيه نظرة هزل: «كلا.»

دخلت ستيفاني إلى غرفة المؤونة حيث كانت أخفت قالب الكيك فأشعلت الشموع فيه بيدين مرتجفتين.

رفعت بصرها لترى ملامح ألبرت الذاهلة عندما وقعت

نظراته على قالب الكيك ورأى ما أحضرته إليه، فكادت دموعها تسيل للتعبير الذي بدا في ملامحه تلك، وازدردت ريقها بصعوبة. أصحيح أنه عاش كل هذه السنوات دون أن يصنع له أحد كيك في ذكرى مولده؟

غنت له برقة وشاركها جون الغناء. وأخذت سارة تخبط على كرسيها العالي، وهي تهتف ضاحكة لمنظر الشموع.

قالت له وهي تضع الكيك أمامه: «يمكنك الآن أن تطلب ما تتمناه قبل أن تطفىء الشموع.» وكانت تشعر بسرور طاغٍ لما فعلت ما جعل السرور يكسو ملامحه، وأطفأ الشموع، وأخذت سارة تصفق.

سألها وهو يرفع الشموع من القالب: «كيف علمت أن اليوم يصادف يوم مولدي؟»

أجابت: «لقد رأيت تاريخه عندما كنا نمضي شهادات زواجنا.» ودخلت إلى غرفة المؤونة مرة أخرى لتعود وفي يدها علبة صغيرة ملفوفة بورق فضي وشريط أبيض، وهي تقول بخجل واضعة العلبة بجانبه على المائدة: «وهذه لك أيضاً.» ثم تحوّلت تحضر صحوناً وشوكاً للحلوى.

نهض جون بدوره قاصداً غرفة الطعام ليعود وبيديه ثلاث هدايا ملفوفة واضعاً إياها بجانب ستيفاني قائلاً: «وهذه أيضاً.» ثم عاد إلى كرسيه.

وصبغ شيء من اللون وجنتي ألبرت وهو يرى العلب أمامه. ورفع عينيه ببطء ناظراً إلى جده، ثم إلى ستيفاني، وكانت ملامحه جامدة ولم تستطع أن تدرك ماهية تفكيره. ولكن ذلك اللون الخفيف الذي صعد إلى وجنتيه مس فؤادها وهي تفكر في تلك السنوات التي لم يفكر فيها أحد

www.rewayti.net

بذكرى يوم مولده. ربما هو كبير وقوي ومكتفٍ ذاتياً، ولكنه يظل بحاجة إلى لمسة حب رقيقة. وكانت هي فقط الشخص الذي بإمكانه أن يقدم له هذا. تقدم إليه كل ما تستطيعه من رعاية تعوّض بها عليه تلك السنوات الموحشة. واستدارت تقطع الكيك.

تمتم برقة وهو يتناول الهدية الأولى: «هل هذا هو سبب ارتدائك هذا الثوب؟» وفتح هدايا جده أولاً. كانت عبارة عن قميص للعمل أزرق داكناً وطقم مناديل يد من جون وألبوم للصور من سارة، وسرعان ما وضعهما بجانبه ليتحول إلى هدية ستيفاني. وتمهل لحظة متأملاً الورق الفضي والشريط الأبيض ثم مزقه ونظر داخل العلبة. كان كامناً في القطن علاقة مفاتيح فضية كبيرة محفور عليها شعار كاليفورنيا.

وعندما أخذ يتأمل الهدية هذه، قالت له ستيفاني بمرح: «إنها شيء بسيط من كاليفورنيا مني إليك.»

وعندما نظر إليها، سرى في كيانها الدفء لابتسامته وهو يقول: «أشكرك. هل أحضرتها معك؟»

فأجابت: «نعم. لقد أحضرتها في الواقع لتكون هدية عرسنا، ولكن عندما لم نتبادل الهدايا، احتفظت بها لمثل هذا اليوم.»

تقابلت عيناها بعينيه الذاهلتين. كان في إدراك ألبرت فجأة مبلغ ما كان عليه عرسهما من كآبة، وما كان في استقبال أسرته لها من نقص في الترحيب كان في ذلك ما صدمه بقوة وجعل ستيفاني تشعر بندمه هذا عندما اشتبكت نظراتها بنظراته.

تمتم ألبرت: «كان عليّ أن أشتري لك شيئاً. إن النساء يهتمين جداً لمثل هذه الأشياء.»

فقالت: «هذا هراء.»

قالت ذلك وهي تتجنب التفكير في خيبة الأمل التي كانت شعرت بها عندما أدركت أنه لم يحضر لها أيّ شيء، فقد كانت تتوقع شيئاً كهذا، ولكنها ما لبثت أن أدركت حماقتها عندما وجدت أنه لم يكن قد توقع أن يكون بينهما شيء خارج عن اتفاقية المصلحة تلك، فهو حتى لم ينتظرها لكي تغيّر ثوبها بثوب الزفاف الأبيض الذي كانت أحضرته معها.

وتابعت تقول محاولة أن تبعد الألم من صوتها: «لقد كانت فكرة شاعرية حمقاء مني، فإن ما بيننا ما هو إلا اتفاقية عمل وليس علاقة حب.» لم يكن هدفها هو أن تفسد هذه المناسبة، فقد كانت تريد أن يكون هذا يوماً خاصاً به.

قالت محاولة أن تبرّد التوتر الذي ساد الجوّ: «كل من هذا الكيك. إن جدّي أخبرني أنه النوع الذي تحبه.» فأخذ ألبرت يحدّق في وجهها الذي كانت أشاحت به، وقد بان في وجهه الغضب والاشمئزاز من نفسه. وأخيراً، تقبّل منها قطعة من الكيك.

ساد الوجوم فترة تناول الحلوى. وشعرت ستيفاني بالغضب من نفسها لإفسادها الجو الجميل الذي كان سائداً. لم يكن هذا ما قصدت إليه. إنها شرحت فقط سبب إحضارها الهدية الفضية. حتى أنها لم تعلم ما إذا كانت أعجبته.

قال جون بعد الصمت المتوتر الذي ساد لحظة طويلة: «إنني لم أفكر قط في المسألة من وجهة نظرك وأنت التي قطعت كل تلك المسافة البعيدة متطلعة إلى شيء ما، تاركة بيتك ووطنك لأجل رجل لا تعرفينه.»

www.rewayti.net

فقالت باسمة: «أو ليس من المبهج أن نرى أن هذا المشروع قد نجح؟»

وعندما انتهى الجميع من الأكل، وقف ألبرت مخاطباً جده: «هل يمكنك يا جدي أن تغسل الأطباق هذه الليلة وتهتم بسارة؟ إن لي حديثاً مع ستيفاني.»

وقبل أن يسمع جوابه، جذبها من حول المائدة، وحمل هديتها ثم خرجا من المطبخ ولكن بدلاً من أن يخرجا إلى الفناء خارج المنزل، اتجها نحو السلم صاعدين إلى غرفته.

وعلى الفور، أغلق ألبرت باب غرفته، ثم أدارها نحوه وقد بدا على وجهه تعبير لم تره قط من قبل.

سألته بقلق: «هل ثمة شيء خطأ؟»

أجاب وهو يلقي بالهدية على السرير بخفة: «لا شيء أبداً. كل ما في الأمر أنني لن انتظر إلى ليلة الغد لكي تشاركيني غرفتي. فلتكن منذ هذه الليلة.»

فقفز قلبها في صدرها لكلماته هذه: ما زال هذا الأمر مبكراً فهي غير مستعدة له. ومع ذلك، فقد غمرت كيانها الأحاسيس، ما جعلها تنسى خوفها واحتجاجها.

فتحت ستيفاني عينيها في الصباح لتجد أنها وحدها. استيقظت ببطء وقد أدركت على الفور أن ألبرت غير موجود. نهضت مستندة إلى مرفقها تنظر في أنحاء الغرفة. لم يكن هناك أثر لحذائه. لا بد أنه ارتدى ثيابه وخرج. ألقت نظرة على ساعتها لتجد أن الوقت ما زال مبكراً. إن عليها أن تنهض وتستعد للنزول لتجهيز الفطور.

كانت سارة ما تزال نائمة، فأسرعت نحو المطبخ حيث

توقفت فجأة وهي ترى زوجين من الأعين تستديران إليها. وتورد وجهها شاعرة بالارتباك. فهي لم تكن تدرك ما ستشعر به من حرج حين تدخل الغرفة عالمة أنه يدرك تماماً ما كان بينها وبين ألبرت الليلة الماضية. ولم يبد على ملامح جون ما يفصح عما يفكر فيه. واتجهت وهي تكاد تتعثر في خطواتها، نحو الثلاجة تخرج البيض. ولاقاها ألبرت هناك ثم سألها وهو يمدّ يده يخرج الزبدة: «هل نمت جيداً؟» ولاحظت أنه قد وضع علاقة المفاتيح التي سبق وأهدتها إليه الليلة الماضية، فتسارعت خفقات قلبها. وأومأت بالإيجاب وهي تتجنب النظر إليه، شاعرة بالخجل. واقتربت من الموقد. كانت بحاجة للاستغراق في عملها المعتاد لكي تستعيد توازنها.

كان ألبرت قد توقف عند الباب قبل أن يخرج، قائلاً لها: «سأكون هنا عند الظهر لأذهب إلى المدينة لإحضار ساندي. وسنعود حوالي الثالثة بعد الظهر.»

فسألته: «هل تريد غداء؟»

أجاب: «أريد سندويش فقط آكله على الطريق.» وتردد وكأنه يريد أن يقول شيئاً آخر، ولكنه عاد فمشى خارجاً.

بعد أن استيقظت الطفلة وألبست ثيابها وأطعمت، لم تجد ستيفاني صعوبة في نقل ثيابها وحاجاتها إلى غرفة ألبرت. وعندما وضعت ثيابها في خزانته الواسعة، أمسكت ثيابه تتشمم رائحته فيها وقد أغمضت عينيها.

وضعت على السرير، في غرفتها القديمة، ملاءات جديدة، وفتحت النوافذ للتهوية وجعلت الغرفة تبدو في أحسن مظهر كيلا تجد ساندي ما تشكو منه.

www.rewayti.net

ولكن أملها خاب حين لم يدعها ألبرت لترافقه هي وسارة، لاحضار ساندي. ووقفت على الشرفة الأمامية تراقبه وهو يبتعد. ولاحظت أنه أخذ السيارة اللاند روفر كما أنه استحم قبل ذهابه. وتمنت لو كانت تستطيع فهمه بشكل أكثر. كما تمنت لو أنها لا تشعر بمثل هذا القلق بالنسبة لساندي لامب.

كانت ستيفاني جالسة على الكرسي الهزاز الجديد في الشرفة عندما عاد ألبرت. وكانت سارة بجانبها تلعب بدميتها فرفعت رأسها حين سمعت صوت السيارة، واندفعت نحو ستيفاني تستند إلى ركبتيها وهي تراقب السيارة أثناء اقترابها. ووضعت ستيفاني يدها على رأس الطفلة تبتسم لها وكان ثوب هذه مغبراً. وكان شعرها قد طال قليلاً فشذبت ستيفاني أطرافه كي لا تبدو كصبي. ملأ الدفء قلبها وهي تتأملها بمحبة بالغة. هل ستحبها خالتها؟ ومدّت يدها تخرج إصبع الطفلة من فمها وتعتصر يدها في راحتها. ثم وقفت وهي ترى السيارة تقف أمام الشرفة.

كانت المرأة التي برزت من السيارة طويلة ممشوقة القوام. وكان شعرها قصيراً مقصوصاً على أحدث طراز كما أن زينة وجهها كانت تبرز أجمل ما فيه وهما عيناها البنيتان القاتمتان. وأدركت ستيفاني من الطريقة التي تشبثت فيها بيد ألبرت وهو يساعدها على النزول من السيارة، والطريقة التي ابتسمت له فيها ناظرة إليه من زاوية عينيها، أدركت أن ساندي إنما تهدف إلى شيء ما.

قام ألبرت بتقديم المرأتين الواحدة إلى الأخرى. دون أن يبدو عليه أنه كان منتبهاً إلى يد ساندي المتشبثة بيده.

قالت ساندي: «لم أرفض فقط تصديق ما أخبرني به ألبرت من أنه تزوج، وإنما شعرت بصدمة لهذا.» وكان في عدم الاستحسان الذي بدا على ملامحها وفي عينيها ما أنبأ ستيفاني بأنها لم تستطع تصديق أن يتزوج امرأة مثلها.

ولكن ستيفاني لم تفعل أكثر من مجرد الايماء والابتسام وهي تقود سارة إلى خالتها قائلة: «وها هي ذي سارة. منذ متى لم تريها؟»

أجابت ساندي وهي تبتسم للطفلة: «منذ قبل موت كلير. مرحباً يا ابنة اختي الصغيرة.»

وعندما ابتسمت سارة بخجل ورفعت يديها إليها لكي تحملها هذه، تراجعت ساندي إلى الخلف بسرعة وهي تقول: «كلا، كلا يا حبيبتي. يجب أن لا تلمسي بنطال خالتك.» ورفعت نظراتها إلى ستيفاني قائلة: «سأنتظر إلى أن تنظف قبل أن أمسك بها. فهي قذرة بمجملها.»

واستدارت إلى ألبرت باسمة تخاطبه قائلة: «إنني متلهفة إلى أن تريني أنحاء المزرعة. فقد كانت كلير تتحدث كثيراً عنها. إنني أكاد أموت شوقاً إلى ذلك.»

فقال لها وهو يرى ستيفاني تحمل سارة: «لا أظن اللون الأبيض صالح للبس في هذا المكان.»

كانت ستيفاني تفكر وهي تحتضن الطفلة أنها أصغر من أن تتأثر من رفض خالتها لها. ولكنها هي نفسها غضبت للطفلة.

فأجابت ساندي بلهجة سعيدة: «لقد أحضرت معي بعض الملابس الأخرى، حتى الجينز. إنني واثقة من أن ملابسي مناسبة لهذا المكان.»

www.rewayti.net

لم تكن ستيفاني قد توقعت أنها ستحب ساندي، وهذا الذي حدث، كما أنها لم تتوقع هذه الموجة الجارفة من الغيرة التي اكتسحتها وهي ترى ساندي تبتسم لألبرت فيبادلها هذا الابتسام. وأخذت تنظر إليهما وهما يخرجان الأمتعة من السيارة. وكانت ساندي تثرثر كيفما اتفق مع ألبرت وهي تحمل حقيبة صغيرة بينما كان هو يحمل حقيبتين كبيرتين. إلى متى هي مصممة على البقاء هنا؟ وأين هو حبها المفترض لابنة أختها؟ إن نيتها كما يبدو، موجهة إلى ألبرت أكثر مما هي إلى سارة. وتذكرت ما سبق وقاله جون من أنهما كانا على علاقة في الوقت الذي تزوج فيه إدي وكلير. إلى أيّ حدّ وصلت بهما تلك العلاقة؟ وانقبض قلبها وشمل كيانها شعور بالوحشة وتمنت لو أنهما لم يذهبا بعيداً في تلك العلاقة، فهي لم تكن تطيق هذه الفكرة.

قالت ساندي لألبرت وهو يضع حقائبها بجانب الخزانة: «ما أجمل هذه الغرفة.» وكانت ستيفاني قد لحقت بهما على السلم بقصد غسل جسد الطفلة لكي تكون لائقة لتحملها خالتها. فوقفت قليلاً عند العتبة تنظر إلى ساندي وهي تتفحص الغرفة وتضيف قائلة: «إنها مجهزة بشكل كاف. شكراً يا ألبرت.» قالت ذلك بصوت خفيض وهي تبتسم له.

فقال يجيبها: «أشكري ستيفاني فهي التي زينتها وهي تعيد الآن تنظيم المنزل بكامله.» ولم يلحظ التماع الغضب في عينيها لسماعها أن ستيفاني هي التي زينت الغرفة. وكان هو يتابع قائلاً: «ناديني إذا احتجت لأي شيء.»

فأجابت: «إنني متأكدة من أن ستيفاني قد فكرت في كل

شيء، فإذا كان ما يزال هناك ما احتاجه فسأطلبه منها.» ومع أن هذه الكلمات كانت حسنة، فإن لهجتها وهي تنطق بها لم تكن كذلك قطعاً. وابتعدت ستيفاني قبل أن تغلبها نفسها فتجيب على هذا التحدي الخفي.

بعد أن غسلت ستيفاني الطفلة وألبستها ثياباً جديدة لكي تناسب مستوى خالتها، حملتها وأقبلت بها إلى غرفة ساندي تقرع الباب. وعندما لم تسمع جواباً، تملكتها الحيرة ونزلت إلى الطابق الأسفل. وهناك سمعت أصواتاً مختلطة على الشرفة فاندفعت إلى الشرفة لترى ساندي تقوم بمشهد لا يمكن أن يوصف به إلا أنه غزل، حسب رؤية ستيفاني له. فقد كانت تجلس على كرسيها الهزاز الجديد، وجون وألبرت إلى جانبيها يضحكان بطلاقة لشيء كانت قالته. ولكنهم يعرفون بعضهم بعضاً بالطبع، منذ وقت طويل. وشعرت ستيفاني بنفسها للحظة غريبة عنهم، كضيفة يتحملونها بالرغم عنهم.

وقالت ساندي وهي ترى ستيفاني تحمل الطفلة: «ها هي ذي ابنة أختي الغالية. تعالي إليّ يا عزيزتي. لقد أحضرت لك دمية حلوة وكتاباً لتقرأيه.» كانت ابتسامتها جذابة وهي تمدّ يديها إلى سارة بشوق فتجلسها على ركبتيها وتهزها ببطء، وهي تتابع قائلة: «لا يمكنني أن أصدق كم كبرت. وكم تبدين صحيحة معافاة.» وابتسمت لألبرت وهي تقول ذلك.

مال ألبرت بكرسيه إلى الخلف وهو يرمق ساندي بعينين ضيقتين. وارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة عندما قالت إن سارة تبدو صحيحة معافاة وقال: «كان يجب أن تريها قبل أن تأتي ستيفاني وتعتني بها. لقد كانت تبدو كالمتشردين.»

www.rewayti.net

عادت ساندي تتكلم إليهما بصوت خفيض متجاهلة وجود ستيفاني، فقالت: «كان عليّ أن أحضر قبل الآن. ولكنني لم أكن أدرك صعوبة الأمر بالنسبة إليك. لقد كان بإمكاني أن أعتني بسارة فهي أيضاً إبنة أختي يا ألبرت. لقد كان علينا أن نشترك في حمل هذا العبء.» وكان يبدو وكأنها كانت تتحدث إلى ألبرت فقط.

فأجاب: «إنها بخير هنا، أما أنت فلديك عملك في ملبورن.»

قال جون لستيفاني حين رآها ما تزال واقفة: «أحضري كرسياً اجلسي عليه.» أما ألبرت فلم يلق نحوها حتى بنظرة.

فهزت رأسها وكأنها انتبهت فجأة من غيبوبة، وقالت: «كلا، شكراً. أريد أن أباشر بتحضير العشاء.» واستدارت متجهة إلى المطبخ ونفسها تغلي بالغضب والغيرة. من تظن نفسها ساندي لكي تحاول اجتذاب زوجها؟ إن ألبرت رجلها هي وكلما كان إدراك ساندي لذلك سريعاً، كان ذلك أفضل. ثم ماذا كان هو يقصد بتركيز اهتمامه عليها بهذا الشكل؟ ألم يتذكر أن لديه زوجة تحبه؟

وجمدت ستيفاني في مكانها وهي تصل بأفكارها إلى هذا الحد. نعم، لقد أحبت ألبرت. ولكنها لم تكن تقصد الوقوع في الحب، لا الآن ولا فيما بعد. ولكن لم يكن بيدها حيلة. وفي الواقع، كان يمثل لها كل ما كانت تتمناه في حياتها. فهو قوي، وموضع ثقة ويقدّر المسؤولية وجذاب. وفكرت لحظة. إن حب السيطرة والغطرسة وإلقاء الأوامر لم تكن من الصفات التي كانت تتمناها في الرجل ولكنها كلها

اجتمعت لتكوّن شخصيته هذه. وابتسمت متعجبة. إنها تحبه، فهل يمكن لزيارة ساندي أن تهدّد هذا الحب؟ وهل سيعود ألبرت فيعتقد أن المرأة الاسترالية تناسب ذوقه أكثر؟ وأن خالة سارة أفضل لها من امرأة غريبة من أميركا؟

عندما كانت ستيفاني تستعد للنوم تلك الليلة، أخذت تتساءل كيف سيكون بإمكانها أن تتعامل مع ساندي أثناء الخمسة أيام التالية، إذا كان بعد ظهر هذا اليوم هو المثال لذلك؟ إن ستيفاني ستجن قبل أن ترحل هذه المرأة.

تذكرت كل كلمة قيلت أثناء العشاء وكأنها كانت مسجلة. كانت المرأة مزعجة، ولكنها مسلية نوعاً ما. فقد كانت، وهي تصف بعض جوانب حياتها في ملبورن، ساخرة لاذعة، إنما مسلية وممتعة. كما أبدت اهتماماً صادقاً بسارة وتقدم نموّها، رغم أنها لم تشأ أن تحملها أو أن تمضي معها بعض الوقت.

ولكن استياء ستيفاني كان كبيراً وهي ترى ما اعتبرته تقرباً من ساندي نحو ألبرت. ولم ينفعها لتعليل شكوكها هذه معرفتها بغيرتها وانها ما زالت قليلة الثقة بعلاقتها الجديدة مع زوجها.

كانت ساندي قد قالت: «إنني متلهفة إلى التفرج على المزرعة يا ألبرت. هل بإمكاننا أن نبدأ بذلك بعد العشاء مباشرة؟ إن وقتي قصير هنا ولا أريد أن يفوتني رؤية شيء.»

فاندفعت ستيفاني تقول قبل أن يتمكن ألبرت من الإجابة: «وماذا عن سارة، ظننتك حنّت لرؤيتها.» لقد شعرت بالضيق لفكرة أنه سيطوف مع ساندي ليريها كل شيء، فهي نفسها

www.rewayti.net

لم يطف أحد بها بعد بكل أنحاء المنزل وكذلك داخل المزرعة. أما كان الأجدر بألبرت أن يريها هي ذلك أولاً؟

قالت: «ألن تذهب سارة إلى فراشها قريباً؟ ان هذا الوقت هو الأنسب لاكتشاف المكان. وغداً سأمضي معها، وهي مستيقظة الكثير من الوقت.» كان جواب ساندي يبدو منطقياً، ولكن ستيفاني شعرت بالغيظ.

قال ألبرت وهو يعبس في وجه ستيفاني وكأن رأيها لم يعجبه: «يمكننا أن نرى بعض نواحي المزرعة بعد العشاء قبل أن يحل الظلام. بينما تهتم ستيفاني بالطفلة.»

لقد سقط قلبها حينذاك. فقد كان وقتهما الخاص بعد العشاء عادة. وهذا طبعاً لا يعني أن بإمكانهما أن يختفيا تاركين ضيفتهما، ولكن آلمها أن يتخلى عن وقتهما معاً كلياً ليمضيه مع ساندي.

ها قد تحول الغروب إلى ليل الآن وهما لم يعودا بعد. وكانت ستيفاني قد جلست على الشرفة مع جون بعد أن وضعت سارة في فراشها، وكان الاثنان صامتين مستغرقين كل في أفكاره الخاصة. وقد بذلت ستيفاني جهدها لحمل نفسها عن الامتناع عن إحصاء وقت غياب ألبرت وساندي بالدقائق، ولكن هوذا الليل قد حل.

وهما لم يعودا بعد.

الفصل السابع

صعدت ستيفاني إلى السرير الواسع وذكريات الليلة تتزاحم في رأسها. وأطفأت النور وهي تتساءل أين عسى أن يكون زوجها الآن وماذا يفعل. لقد أصبحت تعتقد الآن، بعد أن أمضيا ليلة معاً، أن علاقتهما قد أصبحت مختلفة بشكل ما... أصبحت أقوى. ولكن يبدو أنه يتوخى البقاء بعيداً عنها. كيف أمكنه أن ينسى كل شيء؟ ألم تعن الليلة الماضية شيئاً بالنسبة إليه؟

وعندما فتح ألبرت الباب بعد ذلك بفترة قصيرة، دخل شعاع من نور القاعة إلى الغرفة. تردد لحظة، ثم أغلقه خلفه واجتاز الغرفة المظلمة إلى السرير.

وناداها بصوت هادىء: «ستيفاني؟»

فقالت بلطف، مخفية غضبها: «إنني مستيقظة إذا شئت أن تضيء المصباح.» كانت شاعرة بالارتياح لعودته أخيراً. ورفضت أن تنظر إلى الساعة، إذ لم تشأ أن تعلم كم تأخر خارجاً.

قطبت جبينها قائلة ببرود: «إن بإمكاني أن أشم رائحة عطرها تفوح منك.» وشعرت فجأة بالألم، إنه لم يعدها بالحب ولكنه تحدث عن الاخلاص والصدق. هل كان ذلك مجرد كلام؟ وهل هو مثل مايكل؟ هل كان حديثه عن الاخلاص يطبّقه عليها فقط؟

فأجاب بصوت متعب: «لقد تشبثت ساندي بذراعي طوال

www.rewayti.net

الوقت، خوفاً من الوقوع. ما كان لها أن تحتذي ذلك الحذاء العالي الكعب الذي لم تستطع معه أن تحتفظ بتوازنها.»

ابتسمت ستيفاني بحزن. لشد ما هي حاذقة ساندي هذه. ربما كان عليها هي أن تجرب هذه الحيلة. ولم تستطع مغالبة نفسها فقالت: «ولكنكما تأخرتما كثيراً.» كانت تتمنى لو تستطيع أن تصرخ بذلك، طالبة منه أن يخبرها أين كانا وماذا كانا يفعلان. أن تذكره بأنه تزوجها منذ اسبوعين وما كان له أن يمضي ساعات الليل في الخارج مع امرأة أخرى.

فأجاب: «إن هناك الكثير الذي أرادت رؤيته، فهي لم تزر المزرعة من قبل.»

فقالت: «ولا أنا، كان عليك أن تأخذني أنا أيضاً.»

شعرت برأسه يتحول إليها يحدق فيها، ثم سألها: «إذا كنت قد أردت الذهاب، فلماذا لم تقولي ذلك؟»

فتمتمت: «لقد قيل لي أن أبقى مع سارة، هل تذكر؟ ثم إنني لا أحب أن أقحم نفسي حيث لا يكون مرغوباً بوجودي.»

فقال بحدة: «لا تبدأي بتخيل أشياء غير موجودة. إنك تتكلمين مثل كلير.»

فسألته: «هل كان لديها أسباب تجعلها تشك في إدي؟»

فقال: «تشك فيه بماذا؟ أرجوك، إنني لم أفعل سوى أنني أريت زائرة أنحاء المزرعة وكانت تلقي عليّ الكثير من الأسئلة. وهذا أخذ مني وقتاً. يبدو أنك تشعرين بالغيرة.»

فقالت بسرعة كيلا يفكر في الأمر أكثر من ذلك: «كلا.»

فقال: «نامي إذن.» ثم لطف من لهجته الآمرة حين أضاف: «إنني متعب ولدينا عمل كثير غداً.»

فانتظرت ستيفاني لحظة، ولكنه لم يزد شيئاً. وابتعدت عنه ببطء، وقد انتابتها خيبة الأمل لأنه لم يحاول ملاطفتها. وشعرت في هذا السرير الواسع بالوحدة والوحشة. وجافاها النوم ولم يبق معها سوى أفكارها المعذبة.

«هل لديكم مشاكل مع القانون؟» ألقت ساندي هذا السؤال عصر اليوم التالي عندما كانت تجلس مع ستيفاني في الشرفة. كانت سارة نائمة، فخرجت المرأتان تبتغيان الهواء المنعش في الشرفة المسقوفة.

نظرت ستيفاني إلى حيث وقفت أمام المنزل سيارة حكومية، وابتسمت حين رأت ستيفن كاسيدي يخرج منها. ولكنها تذكرت كلمات ألبرت لها بأن تبقى بعيدة عن هذا الرجل، ولكن لم يكن في إمكانها أن تركض إلى داخل المنزل لتصفق الباب في وجهه عندما يأتي إلى زيارتهم.

وقفت ونزلت الدرجات القليلة نحوه ترحب به. وبقيت ساندي جالسة تنظر إلى ما يجري بعينين نهمتين.

كان هو يناولها باقة من الورود الوردية اللون قائلاً: «لقد فكرت في مفاجأتكم بهذه الزيارة لأرى كيف تكيّفين نفسك مع الحياة في هذا المكان النائي.»

فقالت: «ما أجمل هذا. إنني أعشق الورود فهي أزهاري المفضلة. لقد فكرت في زراعة بعض الورود حول المنزل عندما أنتهي من تنظيمه. تفضل. إننا نستمتع بالظل على هذه الشرفة، هل ترغب في شيء من عصير الليمون أو الشاي المثلج؟»

فأجاب: «عصير الليمون.»

www.rewayti.net

كان يماثل ألبرت في حجم جسمه تقريباً، فملأ المساحة بجانبها. وقدمته إلى ساندي ثم دخلت المنزل تضع الورود في الماء وتحضر كوباً من عصير الليمون له.

وعندما عادت إلى الغرفة كانا يتحدثان معاً دون كلفة. وعندما جلست في مقعدها كانت ساندي تبتسم بخبث لستيفن قائلة: «لقد تذكرت الآن فقط لماذا اسمك مألوف لديّ. لقد كنت صديقاً مقرباً من أختي كلير، أليس كذلك؟»

فنظر إليها مجفلاً وأجاب: «إنني لم أدرك أنك أخت كلير.»

قالت: «ليس ثمة سبب يجعلك تدرك هذا. هل جئت الآن لزيارة زوجة ألبرت؟» وأخذت تنقل نظراتها بوقاحة بينه وبين ستيفاني. فأجاب وهو يمعن فيها النظر بعينين ضيقتين: «إنها زيارة صداقة فقط.»

قالت: «هذه شهامة منك، فهي غريبة في استراليا كما تعلم، وليس لها الكثير من الأصدقاء.»

فقال: «أعلم ذلك. إنها ستتعرف إلى الناس مع مرور الزمن.»

أحست ستيفاني أن ثمة شيئاً لا تفهمه، وبمعنى خفي وراء هذا الحديث. ولكنها لم تستطع أن تدرك بالضبط ما هو. فقد كانت كلمات ألبرت لها بأن تتجنب هذا الرجل، تتردد في ذهنها. ولكنه يبدو ودوداً لا ضرر منه. وان زيارته لها على الشرفة وفي حضور ساندي لن تغضبه بكل تأكيد.

استدار ستيفن إلى ستيفاني يقول مبتسماً: «إنك لم تذهبي ثانية إلى المدينة، أليس كذلك؟»

أجابت: «كلا، فإن أشغالي كثيرة هنا، لقد كنت ذهبت مرة واحدة لشراء بعض الحاجات.»

قال: «سمعت أنك تنظمين المكان.»

فعجبت ستيفاني كيف سمع بذلك. وأجابت: «قليلاً. يبدو أن أحداً لم يهتم بتنظيمه منذ سنوات.» واستدارت إلى ساندي قائلة: «لقد تملكتني الدهشة عندما وجدت أن كلير لم تفعل للبيت شيئاً.»

فهزت هذه كتفيها قائلة: «لقد كانت تلحّ على ألبرت ليبني لهما بيتاً مستقلاً. فقد كانت تشعر بنفسها هنا كالغريبة، فلم تشأ أن تضيّع وقتها في تزيين البيت بينما كانت قررت الانتقال منه.»

سألها ستيفن برقة: «ألم تكن سعيدة في المزرعة؟»

فأجابت: «كلا، لقد كانت ابنة المدينة. فقد كان غرامها بإدي أمراً سيئاً.» وهزت ساندي كتفيها وهي تتابع: «ولكنه كان ثرياً، وأنا متأكدة من أن ذلك كان سبباً مهماً في انجذابها إليه.»

فسألت ستيفاني بحيرة: «كان ثرياً؟»

ضاقت عينا ساندي وهي تتفرس في ستيفاني قائلة: «لا تحاولي أن تخبريني أنك لم تكوني تدركين مبلغ ثراء آل دوغلاس. فهم يملكون إلى جانب المزرعة هذه، أسهماً في مناجم ذهب وكذلك في مناجم أحجار كريمة، هذا إلى شركة سفن، مع أن الشخص لا يمكن أن يصدق ذلك عندما يرى هذا المكان. إنه يحتاج إلى إصلاحات بكل تأكيد.»

قالت ستيفاني: «يبدو لي أنه لم تدخل امرأة هذا المنزل منذ أكثر من ثلاثين سنة، هذا طبعاً باستثناء إقامة كلير

www.rewayti.net

المؤقتة هنا. فلا عجب أن لا يبدو المكان مغرياً للناظرين. إنما هذا صحيح فأنا لم أكن أعلم شيئاً عن ذلك الثراء الطائل.» وساورها الغضب. ألم يكن ألبرت يوليها ثقة كافية لكي يخبرها أنه يملك غير هذه المزرعة؟ وكيف جرؤ جون على القول إنها إذا هي أنفقت بعض النقود في المدينة فستجلب لزوجها الإفلاس؟ كانت ما تزال متأثرة من قوله هذا منذ ذلك الحين. والآن، بالنسبة لأقوال ساندي، فذلك المبلغ التافه الذي كانت أنفقته ما كان لهم أن يلحظوه.

فقالت ساندي بازدراء: «حسناً. ربما كانت عائدات تلك الأموال تستنفده أعمال المزرعة لأنها لا تنفق، بالتأكيد على الملابس أو الأثاث.»

وتاهت نظرات ستيفاني بعيداً. ربما كان ألبرت يعاني من ضائقة في السيولة النقدية، فوجد أن أفضل طريقة للحصول على ذلك هو الزواج منها. أتراه كذب عليها في ذكر السبب الحقيقي لزواجهما؟ هل كانت سارة مجرد عذر فقط؟ وهل كان السبب الحقيقي هو الحاجة إلى المال؟

في هذه اللحظة، سمع صوت سارة تصرخ من غرفتها، مستيقظة من النوم. وعندما نهضت ستيفاني، وضعت ساندي كوبها على المنضدة وهي تقول: «سأذهب أنا إليها، وابقي أنت مع صديقك.» ثم قفزت من مكانها مسرعة إلى الداخل.

عند ذلك قال ستيفن يخاطب ستيفاني: «لم أكن أتوقع أن أرى أياً من أقارب كلير في مزرعة آل دوغلاس. فقد سمعت في المدينة أن ألبرت يعمل على نيل حق حضانة سارة. لماذا هي هنا؟»

فأجابت ستيفاني: «جاءت لزيارة سارة، لقد كان ألبرت قلقاً من أن تراجعه في قضية الحضانة. فوالداها يريدان أن ينشئا سارة كما تعلم. ولكنها لم تأت على ذكر هذا حتى الآن.»

فقال متأملاً: «إنها لا تشبه أختها.»

فسألته: «وكيف كان شكل كلير؟ إنني لم أر لها أيّ صورة. أرجو أن يكون لدى والديها بعض الصور لها لكي ترى سارة، عندما تكبر كيف كانت أمها.»

فأجاب: «كانت كلير صغيرة الجسم ذات شعر فاتح اللون وعينين بنيتين كعيني ساندي، ولكن كلير لم تكن قوية كما تبدو ساندي. فقد كانت أكثر خيالاً وشاعرية من أن تتزوج وتعيش في مزرعة نائية كهذه. لقد كانت الحقيقة جداً قاسية عليها.» كان ستيفن يقول هذا بلهجة رقيقة ونظرات شاردة.

فقالت ستيفاني: «وهكذا رحلت.»

فقال: «لقد حاولت أن تحمل إدي على الانتقال إلى ملبورن، أو حتى إلى سيدني ولكنه كان بالغ العناد. لقد كان يريد البقاء في راوستين هنا.»

قالت: «ولكنها كانت تعلم أن عمله هو هنا.» وتساءلت هي نفسها عما إذا كانت كلير تزوجت إدي وهي تفكر في تغييره.

فأومأ ستيفن برأسه قائلاً: «نعم. ولكنني لم أحضر إلى هنا لأتحدث إليك عن أشخاص لا تعرفينهم. في المرة القادمة التي تأتين بها إلى المدينة سنتناول معاً فنجاناً من القهوة وسأطوف بك الأماكن هناك.»

فقالت: «ربما ذهبت إلى هناك الأسبوع القادم.» ولكنها

www.rewayti.net

فكرت في أن تنتظر إلى أن يرافقها ألبرت إلى المدينة، فالمفترض به أن يطوف بها أماكن المدينة. وقالت تغيّر الموضوع: «عندما ترحل ساندي، أريد أن أكمل تنظيم وتزيين المنزل ثم أغرس حديقة. من أين أحضرت هذه الورود؟»

فقال: «من محل بيوتي فلاورز، فهي تملك منزلاً في المدينة وحدائق واسعة قريباً منه.»

سألته: «هل اشتريت هذه الورود منها؟»

أجاب: «نعم. لقد قلت لها إنها لامرأة رائعة الجمال لم تتعود بعد على كآبة البراري.»

لم تشعر ستيفاني بالارتياح لهذا الاطراء الذي لا لزوم له. فهي امرأة متزوجة، فلماذا يتحدث إليها بهذا الشكل؟ وقالت له: «إنها جميلة، وقد سرّني أن أعلم أنها تنمو في هذه المنطقة، ولكنك مخطىء، فأنا لا أجد البراري هنا كئيبة. فإن لها جمالها الخاص.»

قال: «لقد اعتدت أنا عليها، ولكن بإمكانك أن تقومي برحلة إلى سيدني من باب التغيير. فهناك المنطقة خضراء استوائية.»

فقالت: «لا بد أن أذهب يوماً ما.» وكانت تفكر في كل تلك الأماكن المختلفة التي تحب زيارتها في استراليا. وتساءلت، هل يأخذ ألبرت إجازات؟ هل هو يحب الرحلات؟

قال وهو يقف: «حسناً، إن واجب العمل يناديني. يجب أن أذهب. تذكري أن تتصلي بي عندما تأتين مرة أخرى إلى اديلايد.» ومد يده ليصافحها، ثم تركها وهو يبتسم بأسف.

أخذت تنظر إليه باضطراب وهو يبتعد بسيارته، وهي

تتساءل عن سبب قدومه. كانت متأكدة من أن السبب هو أكثر من مجرد زيارة طارئة. فالمسافة من المدينة إلى هنا كانت أكثر من ساعة بالسيارة. أتراه كان يعلم أن ساندي هنا فأراد أن يراها؟ هل كان يظن ألبرت هنا؟ كلا، فهو حتى لم يسأل عن صديقه.

وجمعت الأكواب الفارغة وعادت لتباشر في إعداد العشاء.

«كيف أمضيت الوقت مع سارة اليوم؟» ألقى ألبرت بهذا السؤال إلى ساندي حالما اتخذ الجميع أماكنهم حول مائدة العشاء ذلك المساء في غرفة الطعام، فقد رفضت ستيفاني أن تقدم الطعام في المطبخ أثناء وجود ضيوف.

أجابت ساندي: «لقد كانت هادئة. لقد أمضينا معاً وقتاً طويلاً. أليس كذلك يا حلوتي؟» وابتسمت لابنة أختها ثم لألبرت وهي تقول له: «وأنا متأكدة من أن ستيفاني كانت مسرورة لكوني هنا أعتني بالطفلة أثناء استقبالها لزائرها. فإن وجود الأطفال مزعج أثناء استقبال الزوار.»

فاستدار ألبرت نحو زوجته يسألها: «هل كان لديك زائر؟ من هو؟»

فتمتمت ساندي قبل أن تتمكن ستيفاني من الجواب: «أظنه صديقاً خاصاً.»

فتجهم وجه ألبرت وعاد يسألها وهو ينتظر جوابها بعينين ضيقتين: «لم أكن أدرك أنك وجدت الفرصة لاتخاذ أصدقاء هنا، من هو؟»

قبلت ستيفاني شفتيها بلسانها وقد جفتا فجأة لمنظر وجهه المتجهم هذا. وأجابت: «إنه ستيفن كاسيدي مرّ من

www.rewayti.net

هنا.» ورأت الغضب يشع من عينيه، فتوقف قلبها عن الخفقان وترددت في ذهنها صدى تحذيره لها منه ونصحه بأن تبتعد عنه.

وقال لها بحدة: «لقد سبق وطلبت منك الابتعاد عنه.»

فقالت ساندي بنعومة مبدية الندم والمكر في نفس الوقت: «آه يا ستيفاني. إنني جدّ آسفة. لم أكن أدرك أنه ما كان لي أن أذكر شيئاً. رغم أنه ما كان لك أن تضعي وروده هذه على المائدة.»

فحدق ألبرت في تلك الورود، ثم في ستيفاني وقد توترت شفتاه وأظلمت عيناه. كان غضبه واضحاً، فقالت تدافع عن نفسها: «إنني أعلم أنك قلت لي ان أبتعد عنه، ولكنه جاء فجأة. ماذا كان عليّ أن أفعل؟ أن أغلق الباب في وجهه؟ لقد قال إنه صديقك.» فشعرت بالعيون موجهة نحوها فأدركت أن رجلي الأسرة يعتبرانها مخطئة، ولكنها لم تدرك السبب.

قال بغضب وعيناه كالفولاذ: «لقد كنت صديقه ذات يوم، ولكنه لم يعد كذلك الآن. ليس عليّ أن أعطيك سبب ما أطلب منك أن تقومي به، إنني صاحب هذا المكان وعليك أن تتبعي الأوامر. إنني لا أريد أن أكرّر ما أقول. إن مرة واحدة يجب أن تكفيك. هل هذا واضح؟»

فحدقت ستيفاني فيه غير مصدقة، لم تصدق أن من الممكن أن يلقي إليها بالأوامر وكأنها من عمال المزرعة. لم تصدق أنه يؤنبها بهذا الشكل أمام الجميع. وتذكرت حين كان يخبرها عن وجوب ابتعادها عن ستيفن وكيف أن سارة صرخت في ذلك الحين إذ لدغتها نحلة، فركضا إليها قبل أن يكملا الحديث. أتراه لم يكن عازماً عند ذاك على أن يخبرها

بسبب وجوب ابتعادها عن ذلك الرجل؟ هل عليها الامتثال لأوامره على الدوام دون سؤال أو معرفة السبب؟

وقبل أن تدلي بأيّ احتجاج، قالت ساندي: «آه، نعم. ستيفن كاسيدي. لقد تذكرت لتوّي يا ألبرت أين سبق وسمعت بهذا الاسم. أليس هو الرجل الذي هربت معه كلير؟»

وساد صمت عميق. واستدارت ستيفاني تنظر إلى ساندي بذعر وذهول وقد اتسعت عيناها ببراءة. كانت ساندي مسمّرة أنظارها على ألبرت وأخذت ستيفاني تحدق في الوجوه واحداً بعد الآخر. كان الغضب والاستياء يكسو وجه جون. وعندما تقابلت عيناها بعيني ألبرت مرة أخرى، ارتجفت لما ظهر فيهما من إدانة واضحة. فهمست وقد انتابها الذهول للاشمئزاز الذي رأته على ملامحه: «إنني آسفة، فلم أكن أعلم.» ولكن منظره قتل الرجاء في صدرها، ذلك أنه لم يكن في نظراته إليها أي حب أو التزام. وشعرت وكأنها حوكمت لذنب فعلته.

وشيئاً فشيئاً، عاد الحديث طبيعياً حول المائدة ولكن ستيفاني كانت مستثناة من ذلك. فأبقت عيناها على صحنها وأنهت عشاءها بصمت. ما الذي كانت تفعله هنا؟ ما كان لها أن تنضم إلى أسرة لا تعرفها لمجرد أنها كانت تتوق إلى أن تكون لها أسرة... وليس هذا فقط، فقد كان ذلك لحاجتها إلى المال لتوفر لجدتها العلاج.

قالت ساندي عندما فرغوا من الطعام: «إنني أحب كثيراً أن أحمّم سارة الليلة. أرني أين توجد الأشياء، يا ألبرت.» وحملت سارة تقبلها وتتابع قائلة: «ليس لديّ الوقت الكافي لأزورها على الدوام، ولهذا أريد أن أمضي معها أكبر قدر

www.rewayti.net

أستطيعه من الوقت.» وكانت تتحدث متجاهلة ستيفاني تماماً.

اغرورقت عينا ستيفاني بالدموع شاعرة بغصة وهي ترفع الأطباق وحدها عن المائدة ثم تبدأ بغسلها في المطبخ. لقد ترك الجميع غرفة الطعام بسرعة تاركينها تنظف المكان بمفردها. وحاولت جاهدة مغالبة الدموع لا تريد أن تبكي. لقد كانت غلطتها بريئة، فهي لم تكن تعلم تاريخ ستيفن وكلير. ولكنها كانت تعلم أن ساندي قد عرفت شخصية ستيفن منذ البداية أثناء زيارته، أما ادعاؤها ذاك أثناء العشاء فلم يخدع ستيفاني.

ولكن هذا غير مهم، فقد خدع ألبرت وقد حصل الضرر. وجون لم يرض بها منذ البداية. أترى ألبرت قد ندم الآن على هذا الزواج السريع؟ وشعرت وكأنها منبوذة.

إنها هنا منذ أكثر من اسبوعين الآن، تبذل غاية ما بوسعها في الطبخ والتنظيف وجعل المنزل يبدو بيتاً حقيقياً، ومع هذا فقد دخلت ساندي المنزل لتفسد كل شيء في يومين فقط.

وها إن ألبرت يعطيها المجال لذلك.

وعندما انهت غسل الأطباق، خرجت من الباب الخلفي متجهة نحو مخزن العلف، وعندما دخلت، جذبت كيساً من القش إلى جانب الحائط وجلست مستندة إليه، تراقب الجياد وهي تمضغ علفها بصوت مسموع بينما تنظر إليها بفضول. وتجمعت الدموع في عينيها وهي تتذكر ما حدث على مائدة العشاء، فأغمضت عينيها تغالبها ولكن عبثاً. فقد انهمرت على وجنتيها، وبقيت لحظات أراحت فيها نفسها

بالبكاء. أتراها اخطأت بالقدوم إلى استراليا؟ ومسحت وجنتيها وحاولت أن تفكر. لا يمكن أن تسمح لساندي بأن تحطم زواجها، انها مازالت تريد هذا الزواج، أن تربي سارة، ان تعيش مع ألبرت، حتى أنها قد يصبح لديها أولاد في المستقبل. ولكن هل مازال هو يريدها؟ وماذا باستطاعتها أن تفعل لكي تنجح بهذا كله؟ وتمنت لو بإمكانها أن تتحدث مع جدتها، ولكنها الآن في المستشفى تتلقى علاجها. وشعرت بحنين إليها، فهي لم تشعر قط بمثل هذه الوحدة من قبل. وعثر عليها ألبرت هناك بعد نصف ساعة تعبث بحزمة من القش.

«ستيفاني؟» فرفعت بصرها تنظر إليه وهو يتقدم ليقف بجانبها. وانقبض قلبها ألماً لرؤيته. لشد ما هو حبيب غال. إن حبها له مذهل، إنها لا تدري كيف حدث هذا ولماذا... إنها تحبه فقط وهذا يكفي.

قالت له برقة وهي ترفع بصرها إلى وجهه المكفهر: «إنني آسفة إذ تحدثت إلى ستيفن بعد أن منعتني أنت من ذلك.»

فانحنى فوقها إلى أن أصبح وجهه بمحاذاة وجهها وقال: «إنني آسف لتأنيبك أمام الآخرين، كان هذا خطأ مني.»

فهزت كتفيها وهي تنتزع عينيها من عينيه. لم تكن تستطيع تحمل رؤية الاشمئزاز في وجهه مرة أخرى كما سبق ورأته أثناء العشاء.

قال: «لم تكن كلير سعيدة هنا في المزرعة، فكانت تذهب إلى مدينة اديلايد يومياً تقريباً. كنا نعلم أنها تريد من

www.rewayti.net

الحياة أشياء أكثر من مجرد إدارة منزل في مزرعة. ولكن إدي كان مغرماً بالمزرعة فلم يقبل بالانتقال إلى المدينة. فصمم على أن يبني لها بيتاً ظاناً أن ذلك قد يجعلها سعيدة. كان عليّ أن أشرح لك كل هذه الأمور.»

كانت ستيفاني تنظر إلى اصبعها وهي تدير خاتم الزواج. وحاولت أن تركز أفكارها على كلامه لتفهم ما يقول. وكان هو يتابع قائلاً: «على كل حال، لقد رحلت ذات يوم. لقد جاء ستيفن لأجلها وأخذها إلى سيدني ومن هناك استقلت الطائرة مبتعدة.»

فسألته: «هل كانت تخرج مع ستيفن؟ أم أنه أوصلها فقط من هنا إلى المدينة؟»

ففكر ألبرت لحظة وقد بدت عليه الحيرة ثم قال: «لقد كانت هاربة معه طبعاً.»

فسألته: «والآن ما الذي تتوقعه؟ أن أهرب معه؟»

فحدق في عينيها لحظة طويلة بصمت وكأنه يبحث عن حقيقة الوضع، ومعرفة أسرارها، ثم قال: «ربما إنني أعلم أن ليس ثمة حب بيننا وأننا نحن الاثنين، نعلم حقيقة زواجنا هذا. ولكنني لا أريد أبداً أن أراك مغرمة بشخص آخر. لقد عرفت الشروط من قبل أن تتركي كاليفورنيا وهي أنني أريد من زوجتي الاخلاص والاستقامة.»

فهمست وقد انكسر قلبها لخشونة كلماته: «ولكن ليس الحب؟» كانت تتوق إلى الحب من زوجها الوسيم. تتوق إلى أن تغدق عليه الحب الذي تشعر به نحوه.

فقال: «كلا، إنني لا أتوقع الحب. إن هذا لم يكن جزءاً من الاتفاقية.»

فسألته: «لماذا تزوجتني؟»

أجاب: «لقد تحدثنا في هذا الموضوع عند البداية. لقد أردت أماً لسارة.»

فنظرت إليه تسأله: «أليس لأجل المال؟»

كانت تريد أن تسبر غوره من وراء جوابه. هل سيخبرها الآن بالحقيقة بعد أن لم يعد الأمر مهماً؟

فقال: «لو كنت تزوجتك لأجل المال، هل كان هذا يجعل دوافعك أفضل؟ انظري حولك إلى هذه المزرعة المزدهرة. هل يبدو عليّ أنني بحاجة إلى المال؟»

أجابت: «إن دوافعي لم تكن أبداً موضع سؤال. لقد علمت أنت منذ البداية أنني بحاجة إلى المال لعلاج جدتي.»

فقال بحدة وقد بان العنف في عينيه: «إننا نحن الاثنين، استفدنا من وراء هذه الاتفاقية.»

فقالت وقد ثار غضبها: «ربما كان أحدنا مستفيداً أكثر من الآخر.»

فسألها: «ماذا تعنين بذلك؟»

فأجابت: «أعني أنني تركت كل شيء لأحضر إلى هنا. حتى المال لا ينفعني كثيراً إذا استثنينا علاج جدتي. فأين بإمكاني انفاقه هنا؟»

قال: «لقد فات الأوان لتغيير رأيك. لقد سبق وعرفت ما ينتظرك قبل مجيئك.» كان صوته خشناً فاتراً وهو يتابع قائلاً: «لن تكون هنا حفلات صاخبة، ولا رحلات إلى ملبورن وسيدني. كلا، ولا علاقات مع رجال آخرين. هذا ما كانت تنص عليه اتفاقيتنا.»

فردت عليه بعنف: «ولا علاقات مع نساء أخريات.»

www.rewayti.net

قال: «لستُ من ذلك النوع.»

فشعرت بنفسها تنوء تحت وطأة الهزيمة، وشعرت بالأمل يضمحل في أعماقها. الأمل في أن يحبها يوماً ما. لقد كان أوضح بصراحة أن لا وقت لديه لمثل هذه الحماقة. وهذا التعليق المهين الذي أدلى به الآن يثبت ذلك. ليس بإمكانها أن تلوم سوى نفسها لتعلقها بهذا الأمل المضحك.

قالت: «إنني لا أشعر بشيء تجاه ستيفن كاسيدي، ولن يكون ذلك أبداً، إنني لن أهرب منك، يا ألبرت. إننا متزوجان وأنا ملتزمة بالقسم.»

فتركها ووقف مشرفاً عليها قائلاً: «اهتمي بالحرص على هذا الأمر إذن. عودي إلى البيت الآن. فإن لدينا ضيفة علينا الاهتمام بها.»

عندما جاء ألبرت إلى غرفة نومه، كانت ستيفاني نائمة. ولكنه أيقظها بهمساته، لم يقل لها كلمة واحدة. ولكنها هتفت في قلبها بحبه مرة بعد مرة، متسائلة عما إذا كانت ستبوح به يوماً ما... متسائلة عما إذا كان سيشعر يوماً بشيء نحوها أكثر من كونه يراها ملائمة، مرضية.

تساءلت عما إذا كان هذا هو شعور أمها كلما تخيلت نفسها غارقة في حب جديد. وكيف كانت تحتمل الهجران عندما كان أزواجها يرحلون. كانت مشاعر ستيفاني حلوة مرة. إنها تحب هذا الرجل، ومع هذا عليها أن تعترف بأنه قد لا يهتم بها أبداً أو يعتبرها أكثر من وسيلة لتزويد سارة بأم، هل كان من الأفضل لها لو لم تأت إلى استراليا؟

قال لها فجأة: «ستيفاني. هل قالت لك ساندي شيئاً عن سارة؟»

فأجابت: «كلا، لماذا؟ هل أنت قلق بالنسبة لموضوع الوصاية؟»

أجاب: «نعم، لقد سألتني عن ذلك من أول ليلة. لقد دهشت إذ علمت أنني متزوج. وعندما أخبرتها أنني تزوجت لكي أوفر أسرة راسخة لسارة، بدا عليها الرضى. ولم تعد تثير القضية مرة أخرى، ولكنها تجعلني أشعر بعدم الارتياح.»

فغاص قلب ستيفاني. إذن فقد علمت أن زواجهما إن هو إلا اتفاقية عمل، وليس زواجاً حقيقياً حتى ولو لم يكن ألبرت قد قال ذلك صراحة، فإن ساندي ستستنتج ذلك من الطريقة التي عوملت هي بها وكأنها ليست زوجة بل أشبه بموظفة.

تابع هو قائلاً: «إن من المهم أن تفهم هي أن سارة ستعيش في بيت راسخ محب. هذا هو السبب لغضبي ذاك بالنسبة إلى ستيفن. إنني لا أريدها أن تظن أن ثمة شيئاً قد يبدّد رسوخ حياة سارة، إنني لا أريد أن تنشأ سارة في ملبورن، فهي إبنة أخي إدي. إنني أريدها أن تعرف بيته وموطنه.»

فقالت ستيفاني بلطف: «إنني متفهمة لهذا.» وشعرت فجأة بالفضول، وحاولت مرة أخرى أن ترى وجهه في الظلام وهي تقول له: «هل لهذا السبب نتشارك في غرفة نوم واحدة؟ لكي يبدو زواجنا أمام ساندي طبيعياً قدر الامكان؟» وأمسكت أنفاسها بانتظار جوابه.

فنهض مستنداً إلى مرفقه مائلاً فوقها وكأنه يريد أن يراها في الظلام وقال: «إنني لا أتحدث عن هذه الأمور مع ساندي.»

www.rewayti.net

فهمست: «فلماذا إذن؟»

أجاب: «إننا متزوجان. وعلاقة الزوج بزوجته هي سنّة الطبيعة.»

فكررت قائلة: «سنّة الطبيعة...» لقد صدمها ما سمعت. إن ألبرت يؤكد اتفاقية العمل هذه بينهما في كل لحظة. ولم تستطع الكلام خوفاً من أن تبدو خيبة الأمل في صوتها.

وعاد يقول: «ولكن يجب أن يتضح الوضع بينك وبين ستيفن كاسيدي. لا أريد أبداً أن تعود ساندي إلى والديها بشيء يفهم منه أن ارتباطنا ليس قوياً، مما يؤخر اجراءات المحكمة.»

وكان يتكلم غير واعٍ لتعاستها. وقالت: «ليس ثمة شيء بيني وبين ستيفن.» وأخذت تغالب دموعها قبل أن تنهمر. فهي لا تستطيع أن تخبره بسبب بكائها. إنه لن يفهم أبداً.

وهمست: «وماذا أفعل إذا جاء ستيفن مرة أخرى؟»

فأجاب: «سأتولى أنا أمر ستيفن كي لا يعود مرة أخرى.»

فسألته: «وساندي؟»

قال: «سأهتم بأمرها هي الأخرى. انها لن تمكث هنا طويلاً.»

فتمتمت: «لا أظنها تعتقد بصدق زواجنا.»

فقال: «ستعتقد ذلك قبل رحيلها.»

وابتدأ النوم يستولي على ستيفاني ونفسها ما زالت تشعر بشوق إلى ألبرت. هل من الممكن أن يشعر نحوها بالحب يوماً ما؟

الفصل الثامن

عندما استيقظت ستيفاني عند الصباح، كان السرير خالياً. فتمطت ببطء وهي ترى باب الحمام مغلقاً. إنه لم يخرج بعد. وألقت نظرة على الساعة، ما زال ثمة وقت كاف لموعد الفطور. انها ستنهض بعد خروجه. وأخذت تراقب باب الحمام منتظرة.

خرج ألبرت من الحمام مرتدياً ثياب الخروج التي كانت عبارة عن بنطال جينز وقميص ازرق باهت.

اقترب من السرير قائلاً: «صباح الخير؟ إلبسي بنطال جينز هذا النهار لأنني سآخذك مع ساندي في جولة حول المزرعة.»

فأشرق وجهها وقالت: «لشد ما أحب ذلك. فأنا بأشد الشوق لرؤية المزيد من المزرعة منذ قدومي. هل سنمتطي الجياد؟»

فقال وهو يسير نحو الباب: «اننا سنستقل الشاحنة. هيا اسرعي لكي نتناول الطعام بسرعة.»

وما لبثت أن قفزت من السرير تتهيأ للنزول، فارتدت بنطال جينز فوقه قميص جميل تماثل زرقته زرقة عينيها، وجعلت شعرها ذيل حصان، ووضعت على وجهها وعينيها زينة خفيفة، وعندما انتهت، شعرت بالرضى عن نفسها إذ تبدو تماماً زوجة لصاحب مزرعة ماشية، استدارت خارجة تستقبل يوماً جديداً.

www.rewayti.net

كان جون قد تطوّع للعناية بسارة، وهكذا خرجت ستيفاني من المنزل مرتاحة الذهن وقد ملأتها الإثارة لرؤية مزرعة راوستين.

ارتدت ساندي بنطال جينز يعلوه قميص اصفر أنيق التفصيل مع فتحة عنق واسعة، اكثر مما ينبغي كما رأت ستيفاني. ولكنها هزت كتفيها لا تريد ان تشغل بالها هذا اليوم. فإذا اصيبت ساندي بحروق الشمس فالذنب في ذلك ذنبها. ألقت ستيفاني نظرة سريعة على ألبرت وهو ينظر إليها وإلى ساندي تصعدان الشاحنة. والتقت عيناها بعينيه فحدق فيهما لحظة طويلة، ثم رقت ملامحه قليلاً وهو يربت على المقعد بجانبه قائلاً: «أسرعي يا حبيبتي لكي تتمكن ساندي من الصعود.» وارتجفت بالرغم منها لهذه الملاطفة البسيطة، فصعدت تجلس إلى جانبه وهي تتمنى لو أنه يلاطفها بهذا الشكل عندما يكونان بمفردهما، وليس فقط لكي يدع ساندي ترى ذلك.

وعندما صعدت ساندي وصفقت الباب، اتجهت فوراً ناحية النافذة قائلة: «ان الجو حار منذ الآن، فماذا سيكون عليه الحال فيما بعد؟» وكانت توجه سؤالها هذا إلى ألبرت.

فأجاب وهو يدير المحرك: «سيكون حاراً.»

كانت السيارة تتحرك بسرعة وعنف هادرة فوق الأرض. سعلت ساندي وهي تلوّح بيدها أمام وجهها قائلة: «ان هذا الغبار شنيع يا ألبرت. هل بإمكانك أن تبطىء قليلاً؟»

فقال: «ارفعي زجاج نافذتك قليلاً فقد يتحسن الحال، لأنني إذا ابطأت عن هذا فلن نصل إلى أي مكان.»

فسكتت، ثم أخذت تلوّح بيدها مرة أخرى. لتقول بعد

فترة: «ها ان الحرارة ازدادت، لا عجب أن تبدو كل يوم وكأنك تمرغت في التراب.» ثم عادت تنزل زجاج النافذة كما كان فعاد إليها السعال، ثم قالت: «ماذا لو غيرّت ستيفاني مكانها معي؟ ربما لا يؤثر عليها الغبار إلى هذا الحد؟»

فأبطأ ألبرت ثم أوقف الشاحنة وهو يقول: «يمكننا أن نجرب، هل من بأس في ذلك يا ستيفاني؟»

فأرادت أن ترفض، ولكن التهذيب تغلب عليها فقالت: «سأجرب ذلك.»

وبعد لحظات تابعوا السير وقد اصبحت ساندي في الوسط. ولم تجد ستيفاني الغبار رديئاً، فقد كان يأتي احياناً وكان افضل كثيراً من الحرارة في الداخل مع اغلاق النافذة، واصبح بإمكانها التمسك بالباب والمحافظة على توازنها بشكل افضل.

ولكن أصبح لدى ساندي مشكلة التقافز هنا وهناك الآن. وبسرعة أمسكت بذراع ألبرت للإحتفاظ بتوازنها. ورأت ستيفاني هذه الحركة فأرادت أن تنزع تلك اليد بعيداً وتوبخها للمسها زوجها. ولكنها لم تقل شيئاً، وأخذت تنظر من النافذة إلى المناظر المتتابعة، وسرعان ما أخذت تملي نظرها من المواشي التي كانت ترعى العشب محاولة أن تتجاهل ضيفتها، وقد اذهلها ما تشعر به من غيرة محرقة. ولكن ألمها تضاعف عندما لم يدل ألبرت بأي تعليق.

وقف امام بركة تحف بها الوحول، وقال: «هذه إحدى الحفر التي سبق وحدثتك عنها يا ستيفاني.»

وخرج من السيارة فتبعته ساندي بسرعة ووقفت بجانبه بينما وقف هو ينتظر ستيفاني. وعندما وصلت إليه أخذت

www.rewayti.net

تنظر حولها متعطشة. كانت المياه في البركة صافية وبدت باردة في هذا النهار الحار. وكانت المواشي ترعى حولها.

قالت ساندي متأففة من الجو الحار: «إن الجو حار حقاً الآن.»

فاستدار ألبرت ينظر إلى ستيفاني. ودون أن يفوه بكلمة، رفع قبعته عن رأسه ووضعها على رأسها يميلها لتظلل وجهها. وعندما نظرت إليه مجفلة، ابتسم قائلاً: «لا أريدك أن تصابي بضربة شمس.»

فقالت ساندي بوقاحة وهي تنظر إلى القبعة على رأس ستيفاني: «أليس لديك واحدة لأجلي؟»

فأجاب: «آسف، فلم أحضر أي قبعة إضافية. ليس عليك خطر كبير بالنسبة إلى ان عينيك بنيتان، ان الشقر ذوي العيون الزرقاء بالغو الحساسية.»

كان جوابه هذا عفوياً وهو يستدير نحو البركة وكادت ستيفاني تنفجر سروراً لاهتمامه هذا بها، ولكنها تبعت ألبرت دون أن تنظر إلى ساندي شامتة، وقالت تسأله: «اخبرني اكثر عن برك الماء هذه.» فأخذ يشرح لها كيف تزودهم الآبار الأرتوازية بالمياه باستمرار. وكيف أن جده، ثم هو بعد ذلك قد حفرا العديد من البرك لإرواء الأراضي المعشبة.

فسألته: «ألا تجف هذه البرك أبداً؟»

أجاب: «نادراً ما يحدث هذا. إننا نعتمد عليها لتزويدنا بالماء دوماً. وطبعاً في فصل الامطار تفيض عندنا المياه فتغرق السهول. ولكن المياه عادة تمكث في السواقي، ثم تكتسي الأراضي بالأزهار بشكل رائع، فيشعر المرء

بالرغبة في قضاء اليوم كله في الخارج مستمتعاً بمرآها.»

فنظرت ستيفاني حولها محاولة تصور فصل الأمطار وشعرت بلهفة لرؤية ذلك كله. وأخذت تراقب بعض الماشية باسمة. ثم سألته: «هل هذا هو نوع الأبقار الذي كنت تحدثني عنه؟»

فأومأ قائلاً: «نعم، فهي تعطي نسبة جيدة من اللحم الهبر.»

سألته ستيفاني: «هل تسوقون الماشية من مرعى لآخر بالتناوب، ام انها تتنقل كما تريد؟»

أجاب: «اننا ننتظر لنرى حالة الأرض. فإذا ابتدأت بالأمحال، وكانت الأبقار لا تتنقل بشكل طبيعي، فإننا نرغمها على ذلك، وعلى كل حال فهي عادة لا تنفك عن التجوال. ولدينا ما يكفي من برك المياه في المزرعة، ولهذا فالمياه هنا ليست مشكلة.»

فسألته: «ومتى تسوقون الماشية؟» ورفعت عينيها فرأت الغضب في عيني ساندي، فأجفلت وأخذت تحدق في تلك المرأة لحظة طويلة، ثم ادركت كل شيء فحوّلت نظراتها بعيداً قبل أن تنفجر منها ضحكة عالية. كانت ساندي في غاية الإستياء لقلة معلوماتها عن الماشية.

وأجابها هو: «نفعل ذلك في الربيع والخريف. ونحن ندفع الماشية في الربيع، ونجمع العشب في الخريف. أحياناً نأخذ ببيع الماشية مبكراً -إذا كانت السنة رديئة وكانت الأرض ممحلة.»

فقالت ساندي بضيق: «من الصعب أن يصدق المرء أن ليفتيك الذي نأكله في ملبورن يأتي من أبقار كهذه.»

www.rewayti.net

فقال يصحح كلامها: «انها ثيران وليست أبقار.»

فقالت ستيفاني: «ليس البفتيك فقط، وإنما هنالك الكثير من المنتوجات الأخرى للأبقار.» وكانت تتكلم ناظرة إلى المرأة الأخرى، شاعرة بالسرور لشعورها بأنها، بمعلوماتها هذه، تمثل زوجة ملائمة تماماً لألبرت اكثر من أي امرأة أخرى مثل ساندي.

وفي الوقت الذي وصلوا فيه إلى المنزل عائدين من نزهتهم، كان الضجر قد تملكها من معابثة ساندي لألبرت وتساهل هذا معها. صحيح أنه لم يقم بشيء يشجعها على ذلك، ولكنه أيضاً لم يصدّها بطريقة ما. كانت ستيفاني تغلي من الغضب في داخلها، متمنية لو أنها طالبت بالجلوس إلى جانب ألبرت، أو أنه اصرّ على ذلك. متمنية لو أنه أوضح لساندي أنه متزوج وأن عليها أن تبعد يدها عنه.

عندما دخلت الشاحنة الفناء، قابلهم جون، وكان مستنداً إلى عمود الشرفة الأمامية حين رأى ستيفاني تنزل من الشاحنة ثم تندفع كالعاصفة نحو المنزل. وعندما اقترب ألبرت وساندي إلى حد استطاعا معه السماع، كان هو يقول لستيفاني: «ثمة هدية وصلت اليك، يا ستيفاني.» قال ذلك وعيناه تنتقلان إلى ألبرت ثم تعودان إليها.

فقالت: «هدية؟ ممن؟»

قال جون: «لقد وضعتها خارجاً قرب السقيفة.»

فسأله ألبرت وقد بدت الخشونة على ملامحه: «ما هي تلك الهدية؟»

وكانت هي قد أسرعت حول المنزل، ثم توقفت وهي ترى أربع فسائل ورد مسندة إلى الشرفة، كانت قد سبق

وأزهرت، اثنتان منها حمراوان وواحدة بيضاء وأخرى زهر.

وهتفت: «آه، ما أجملها.» وانحنت تتشمم أريجها وهي تتلمس أوراقها بخفة.

وقالت ساندي ببطء وهي ترى الورود: «لا بد أنها من صديقك الذي في المدينة.»

فنظر ألبرت إليها عابساً وهو يسألها: «ماذا تعنين؟»

فأجابت بخبث: «لقد كانت ستيفاني تحدثت بشغف عن الورود ومبلغ حبها لها عندما كان ستيفن كاسيدي هنا. ويظهر أنه أراد أن يسر السيدة.»

فسأل ألبرت جده: «هل هي من ستيفن؟» فأجابه هذا بهزة من كتفيه.

فمدت ستيفاني يدها إلى البطاقة المعلقة بإحدى الفسائل وقد ابتدأت تشعر بالذعر خوفاً من أن تكون من ستيفن، فهذا سيزيد من المشاكل، ولكنه كان الوحيد الذي تحدثت إليه عن رغبتها في غرس حديقة حول بيتها.

(ارسل إليك هذه لكي تبدإي بها حديقتك. إنها ستزيد من جمال مكانك النائي. ستيفن).

فازدردت ريقها، ثم استدارت تواجه ألبرت. وكان غضبه الآن قد أصبح واضحاً. وببطء، ناولته البطاقة، فاختطفها من بين اصابعها وأخذ يقرأها، وعندما انتهى جعد الورقة في يده جاعلاً منها كرة، ما أدركت هي منه أنه كان غاضباً، ولكنها لم تخطىء بشيء، وهي لن تدعهم يلقون اللوم عليها مرة أخرى فقالت: «لقد سبق وقلت انك ستتولى أمره.»

فحدق في عينيها بعينين ضيقتين فترة طويلة، فشعرت

www.rewayti.net

لنظرته تلك برجفة بالرغم منها. ثم أجابها قائلاً: «فكرت في الإنتظار إلى أن اذهب إلى المدينة وأقابله، ولكن يبدو أنني استهنت بمقدار الجاذبية.»

قالت: «ألبرت، انها مجرد ورود، لقد كنت ذكرت له أنني أفكر في غرس حديقة عندما انتهي من تنظيم المنزل. إنه فقط يظهر بإرسالها، حسن الجوار.»

فقال: «انك زوجتي يا ستيفاني. فإذا كنت ترغبين في فسائل ورد فسأشتريها لك. إلقي بهذه بعيداً.»

فتمتمت ساندي وهي تزيد من اقترابها من ألبرت: «ربما هي تمثل بالنسبة إليها، معنى خاصاً.»

فنهرتها ستيفاني بقولها: «اقفلي فمك يا ساندي فهذا أمر بيني وبين ألبرت، ولا اريدك ان تزيدي الوضع سوءاً بمثل هذا الدس منك.»

فقال لها ألبرت آمراً: «ستيفاني. هذه فظاظة منك لا تغتفر. ان ساندي هي ضيفتنا، هيا، إعتذري إليها حالاً.»

فسحبت نفساً عميقاً وعيناها مشدودتان إلى عينيه، ولمع التمرد في عينيها، وتساءلت لحظة عما يمكن أن يفعله إذا عصت أمره هذا... ولكن الحق معه، فقد كانت فظة حقاً.

وأخيراً، نظرت إلى ساندي قائلة: «أرجو منك المعذرة يا ساندي، فما كان لي أن اخاطبك بهذه الطريقة.» ثم استدارت صاعدة الدرجات القليلة ركضاً إلى الشرفة ومنها إلى داخل المنزل، وانصفق الباب خلفها دون أن تلحظ ذلك، إذ كانت الآن تصعد السلم إلى غرفتها ودموعها تحجب عنها الرؤية، وأسرعت بركضها وهي تسمع الخطوات القوية خلفها، ووصلت إلى غرفتهما في الوقت الذي كانت فيه يد ألبرت

تمسك بها توقفها. تردد لحظة، ثم سحبها إلى غرفة النوم مغلقاً الباب خلفهما.

قال لها وهو يصّر على اسنانه غضباً: «لقد طلبت من جدي أن يتخلص منها.»

فقالت وهي تحاول أن تخلص ذراعها من قبضته، مغالبة دموعها: «ان الذنب ليس ذنب الورود. إنها جميلة وأنا لا أريد أن يلقى بها بعيداً.»

فقال: «انني لا أريد أن تحييني ورود ستيفن كلما جئت إلى البيت. لقد كانت كلير تقوم بمثل هذه الألاعيب مع إدي فأحالت حياته إلى جحيم. انني لن احتمل شيئاً كهذا منك. هل هذا مفهوم؟» ومد يده يمسح دمعة تدحرجت على خدّها وقد بان على ملامحه الحقد.

فقالت: «انني لا اقوم بأية ألاعيب. انني لم اطلب منه إرسال زهور، حتى انني لم اطلب منه قط أن ألقاه. لقد سبقَ وقلت انك ستتولى أمره. فقم بذلك وكفّ عن توجيه اللوم إليّ.» كانت تتحدث بما يقرب من الصياح. فقد رأت نفسها مظلومة. فهي لا تهتم بستيفن كاسيدي، فلماذا لا يفتأ يسبب المشاكل بينها وبين زوجها؟

قال: «الشيء الثاني الذي لن احتمله منك هو فظاظتك نحو ساندي. انها ضيفتك... ضيفتي أنا إذا كنت لا تريدينها، انني احاول أن لا أدع مجالاً لآل لامب يرفعون فيه قضية طلب وصاية. وخشونتك وإبداء صعوبة في طباعك لا تساعد على توفير جو صالح لتنشئة طفل.»

قالت: «انك تنحاز إلى جانبها. فأنت تعرفها منذ مدة طويلة، ربما كان عليك أن تفكر في العودة إليها، بعد أن

www.rewayti.net

مات إدي وكلير، ومن ثم تتزوجها، ومن الواضح أن هذا ما تريده هي.» وسحبت ذراعها من يده مرة أخرى.

قال: «انني زوجك أنت طول الحياة، فاجعليه زواجاً ناجحاً يا حبيبتي. لقد سبق واخبرتك انني اتشبث بما هو لي، وأنت لي، فافهمي هذا جيداً. ان ساندي ستتركنا قريباً، ولكنك ستبقين هنا وستبقين على الدوام، بعيدة عن ستيفن كاسيدي.»

استدار تاركاً الغرفة بسرعة. بقيت ستيفاني واقفة حيث هي وقد اذهلتها قوة غضبه. وانصتت إلى وقع خطواته تهبط السلم. وعلمت من انصفاق الباب الخارجي، أنه خرج من المنزل. وبعد تلك بدقائق، سمعت همهمة اصوات من الشرفة ولكنها رفضت التصنت. لقد اوضح لها كل شيء فهي لا تريد أن تسمع المزيد.

كان الجوّ على مائدة العشاء متوتراً، وتناولت هي طعامها بصمت، وحاولت جاهدة تجاهل الحديث الذي دار حولها. ونظرة منها إلى الشرفة، قبل العشاء، انبأتها أن فسائل الورود قد اختفت. ما الذي فعله بها جون يا ترى؟ كانت ساندي تتحدث بحماس عما رأته في رحلتها هذا النهار، كما حدثتهم بأقاصيص مسلية عن ملبورن... وبقي ألبرت صامتاً بجانب ستيفاني، ولكن جون كان يضحك لنوادرها الشيقة، كما أنه أخذ هو أيضاً يحدثهم بأقاصيص عن الأيام القديمة في مزرعة راوستين. وقالت ساندي لألبرت بمرح، وهي تنهي عشاءها، بعد أن تجاهلت ستيفاني طيلة العشاء: «هل لك أن تساعدني على تحميم سارة، يا ألبرت؟ انها بنفس القذارة التي كنا نحن عليها عندما عدنا من رحلتنا عصر اليوم.»

فألقى نظرة خاطفة على ستيفاني، ولكن نظراتها كانت مسمّرة على صحنها. فأجاب: «بكل تأكيد. ويمكننا أن نقرأ لها قصة بعد الإستحمام. فهي قد أحبت ذلك الكتاب الذي احضرته لها.»

عضت ستيفاني شفتها تمنع نفسها من قول أي شيء، لم يكن لدى سارة أي لعب، قبل مجيئها هي، ولكنه لم يسبق ان ذكر شيئاً عن الدمية والأحجار التي اشترتها هي لها. إنه يذكر فقط هدايا ساندي.

بعد الانتهاء من غسل الأطباق، خرجت ستيفاني إلى الشرفة، وكانت خالية، فقد كان جون في المكتب، وألبرت وساندي مع سارة في غرفتها. وجلست على الكرسي الهزاز لحظة محاولة تهدئة اعصابها. ما الذي جعل الأمور تسوء بهذا الشكل في هذه المدة القصيرة؟ ودون أن تفعل هي شيئاً؟

وأخيراً، نهضت متجهة نحو الاصطبل، وهناك أخذت تفتش حول الأبنية الخارجية إلى أن وجدت فسائل الورود ملقاة على كومة من السماد. فابعدتها عن مكانها هذا برقة، واسندتها إلى جدار الإصطبل، كان قد انكسر منها عدة اغصان، عدا ذلك كانت النباتات ماتزال صالحة. وقررت أن تعيدها غداً.

وأثناء عودتها إلى المنزل ترددت حين سمعت صوت جون على الشرفة. وعندما اجابته ساندي، استدارت ستيفاني داخلة إلى المنزل من باب المطبخ، حيث صعدت بهدوء إلى غرفة النوم.

كان من المستحيل أن تبقي رحلتها إلى المدينة سراً عن

www.rewayti.net

ساندي، وهكذا لم تحاول ستيفاني ذلك. وعلى الفور، بعد الإفطار، استقلت السيارة متجهة بها نحو الإصطبل حيث وضعت النباتات في المقعد الخلفي. ثم وقفت بجانب المنزل حيث حملت سارة معها. وعندما رأت ساندي تنظر إليها بدهشة، اخبرتها بهدوء انها ذاهبة لتأدية مهمة قصيرة، ثم انطلقت.

عادت إلى المنزل عند العصر. فقد تعمدت التأخر في مدينة اديلايد، حيث زارت محل بيوتي فلاورز، وذلك لكي لا تمضي وقتها مع ساندي، وكانت تريد أن تعود قبل عودة ألبرت، فقد كان من الأهمية بمكان أن تكون هي التي تخبره عما فعلت وليس ساندي.

عندما وصلت ستيفاني، كان المنزل يبدو مهجوراً، فحملت سارة إلى المطبخ حيث ابتدأت في تحضير العشاء، وأخذت الطفلة تعبث على الأرض بينما حرصت ستيفاني على انتظار ألبرت. ولم تشأ التفكير في ما قد يكون تصرفه عندما يعلم بما فعلت، كانت تريد فقط أن تكون وحدها معه.

وعندما أطل ممتطياً صهوة حصانه، كادت تصاب بالذعر. وأخذت تراقبه من نافذة المطبخ وهو ينزل عن الحصان ثم يدخله الإصطبل، ومن ثم يتجه نحو المنزل مغبراً، متعباً، رائع الجاذبية. أخذت تنظر إليه إلى أن اقترب داخلاً المطبخ، عند ذلك استدارت تواجهه.

«ألبرت.» هل كان ذلك الصوت الخائف صوتها؟

فابتسم لها ثم انحنى ليرى سارة. تنحنحت ستيفاني وهي تتقدم نحوه قائلة بسرعة: «ألبرت. لقد أعدت فسائل الورود.»

نظر إليها بحيرة قائلاً: «ماذا؟» ونهض ببطء إلى أن وقف مشرفاً عليها، وهو يسأل: «ما الذي تعنينه بقولك انك اعدت الفسائل؟»

فنظرت إليه تجيبه: «كانت نباتات رائعة الجمال وما كان ثمة حاجة إلى رميها لمجرد انك لا تحب مرسلها. لقد اعدتها إلى محل بيوتي فلاورز»

فقال: «ظننت أن جدي رمى بها بعيداً.»

فقالت: «لقد اعدتها من حيث رماها.»

قال: «اعدتها؟ هل تعني لك تلك الورود كثيراً؟»

قالت: «كلا، انها لم تكن تعني شيئاً بالنسبة إليّ. ولكنها كانت نباتات جميلة وتعني شيئاً بالنسبة لمن غرسها أياً كان. لقد سرّت صاحبة المحل عندما رأتها حيث أنني لم استطع استعمالها.»

فأخذ يحدق فيها غير مصدق، ثم هز رأسه قائلاً: «انك امرأة عنيدة الرأس. ماذا تظنينني فاعلاً بك؟»

ففتحت فاها تحاول أن تجيبه، ولكنه كان اسرع منها وهو يقبّل جبينها.

«آسفة، ما قصدت أن اتطفل عليكما.» قالت ساندي هذا بعد أن وقفت عند الباب فجأة لدى رؤيتها هذا المشهد.

بقي ألبرت محدّقاً بستيفاني، متجاهلاً ساندي كلياً، ثم، دون أيّ كلمة، استدار خارجاً من المطبخ متوجهاً إلى الحمام.

قالت ستيفاني بطلاقة: «ليس ثمة تطفل.» وعادت تستدير إلى الموقد لتلاحظ الطبخ وهي تتابع قائلة: «كنت فقط احيي زوجي بعد فراق النهار.»

www.rewayti.net

فقالت ساندي وهي تجلس: «يا له من موقف مؤثر. إنني اتساءل عما إذا كان سيشعر بهذا الحب عندما يعلم انك ذهبت هذا النهار إلى المدينة لرؤية ستيفن.»

فاستدارت ستيفاني تواجهها قائلة بثبات: «لقد سبق واخبرت ألبرت انني ارجعت فسائل الورد. وأنني امضيت النهار في محل بيوتي فلاورز متفرجة على حديقتها آخذة منها نصائح عن الوسيلة لاستنبات الورود في منطقتنا النائية هنا، وإذا كنت ترتابين في كلامي يمكنك أن تسأليها. وكذلك بإمكان ألبرت أيضاً. فأنا لم أر ستيفن كاسيدي.»

بقيت ساندي صامتة برهة، تنظر إلى سارة وهي تلعب بالأطباق، ثم سألت: «أليس لديها أية العاب حقيقية؟»

أجابت: «طبعاً، ولكنها تحب الطرق على الأطباق عندما اطبخ.»

قالت ساندي بلطف: «عندما تأتي سارة للإقامة معنا، سيكون لها ألعاب كثيرة لا تحتاج معها إلى اللعب بالأطباق.»

فنظرت إليها ستيفاني بحيرة وسألتها: «ماذا تعنين؟»

فأجابت: «اعني عندما تأتي سارة إلى ملبورن، ألم يخبرك ألبرت؟ إنه لا يريدها أن تنشأ جاهلة أهل أمها.»

فقالت ستيفاني: «ما كنت أدري انك قررت أخذها لزيارة جديها، متى سيكون ذلك؟»

أجابت: «لم أقرر بعد، ولكن هذا أمر لا يعنيك في الواقع. فأنا خالتها.»

قالت ستيفاني: «وأنا أيضاً زوجة عمها. وعندما تنتهي قضية الحضانة ساكون أمها.»

فقالت ساندي وهي تقف قائلة بلطف: «مازال الوقت مبكراً للتحدث عن الحضانة. هل يمكنني المساعدة بإعداد العشاء؟»

أجابت: «ان كل شيء قد انتهى الآن.» وأخذت تنظر إليها تفكر في قولها هذا. ماذا كانت تعنيه بقولها إن الوقت مازال مبكراً؟ ألم يبدأ ألبرت بعد بإجراءات الحضانة؟ هل كانت ساندي تلمّح إلى أن ثمة مشكلات بالنسبة إلى الحضانة؟ وأثناء العشاء، ألقت ساندي قنبلتها عندما قالت: «اتدري يا ألبرت؟ أظن انني سأبقى مدة اطول هنا لأذهب معك في تلك الرحلة التي تخيمون فيها.»

فرفع رأسه وأخذ يحدّق فيها بصمت لحظة، ثم أومأ برأسه قائلاً ببساطة: «هذا حسن. يمكننا أن نشرع بالرحيل بعد غد. وسنغيب عدة ليال. هل يمكنك امتطاء الخيل طوال تلك المدة؟»

وشعرت ستيفاني بالغثيان. أية رحلة يخيمون فيها تلك؟ هل دعا ألبرت ساندي إلى رحلة مخيم؟

www.rewayti.net

الفصل التاسع

توقف جون عن الطعام سائلاً حفيده: «ماذا؟ هل قدمتم موعد الرحلة؟ وهل سنذهب أنا وستيفاني معكم؟»

فأجاب ألبرت: «طبعاً.»

فسألته ستيفاني: «أية رحلة هذه؟»

فأجابها: «اننا نذهب على ظهور الخيل جنوباً للتفتيش عن مراع معشبة للماشية. وهذا يستغرق عدة أيام لبعد المسافة. بهذه الطريقة يمكنك أن تزيدي معرفتك بالمزرعة.»

فقالت ساندي عابسة وكأنه لم يعجبها أن تذهب ستيفاني معهم: «يجب أن يبقى هنا من يعتني بسارة.»

فقال جون: «ليس ثمة مشكلة. لقد كانت جودي تعتني بسارة قبل مجيء ستيفاني، وأعتقد أن بإمكانها رعايتها.»

لقد آلم ستيفاني أن يكون ألبرت قد حدث ساندي عن هذه الرحلة دون أن يذكرها لها هي، وخفضت نظراتها إلى صحنها. لماذا أخبر ساندي بذلك أولاً؟ وإذا كان هذا الزواج زواج مصلحة، فهل معنى ذلك أن يحتكر المصلحة هذه لنفسه؟

وعندما انتهى الجميع من تناول الطعام، سألته ستيفاني: «هل بإمكانك أن تساعدني على إخلاء المائدة، يا ألبرت؟» ولم تهتم بالألم الذي شاب لهجتها وهي تقول ذلك. لقد تعبت من كثرة ما شعرت بالإهمال. وهي ستبحث معه كل شيء الليلة.

وبدت عليه الدهشة لطلبها هذا. بينما قال جون: «إن هذا عمل المرأة.»

فاستدارت ستيفاني إليه قائلة: «لا تكن أحمق. من كان يقوم بذلك قبل حضوري؟» وتملكها الغضب. لا عجب ان لم تكن كلير سعيدة هنا. هل انفردت ولو مرة واحدة بزوجها هنا؟

قال ألبرت مخاطباً جده: «سأساعدها بإخلاء المائدة بينما تغسل الأطباق، وأنت وساندي تأخذان سارة إلى الشرفة.» نهض وابتدأ يجمع الأطباق ويتجه بها نحو المطبخ. بينما ملأت ستيفاني حوض الغسيل بالماء وتحوّلت تأخذها منه.

قال لها: «إنك لا تريدينني أن أساعدك بالأطباق يا ستيفاني، فماذا تريدين؟»

سألته: «هل دعوت ساندي إلى هذه الرحلة؟»

قال: «لقد كنت حدثتها في أول ليلة كانت فيها هنا عن أننا أحياناً نقوم برحلة تستغرق أياماً نفتش فيها عن مراع في الجنوب. فأنا لم أدعها أبداً إلى هذه الرحلة الثانية. إنني لم أكن أريد الذهاب قبل أسابيع. إنك سمعت جون حين قال إننا قدمنا الموعد. إنني سأحتاج إلى يوم للإعداد لذلك. وسنذهب بعد غد حيث نمضي ثلاثة أيام أو نحو ذلك، ثم تذهب هي في طريقها إلى ملبورن.»

فقالت بضيق: «لِمَ كل هذا؟ أما كانت ستذهب قبل ذلك لولا هذه الرحلة؟»

فأجاب: «إنني أحاول أن أستوضح بعض الأشياء.»

سألته: «هل تلك الأشياء عن سارة؟»

www.rewayti.net

فأجاب: «نعم، إلى بعض الأشياء الأخرى، ولكن ساندي لن تمضي هنا مدة طويلة. إنك ستستمتعين بالرحلة، يا ستيفي. لقد قلت إنك اعتدت ركوب الخيل. هل أقمت مرة في مخيم من قبل؟»

فأجابت: «نعم. هل تريدني حقاً أن أذهب؟»

فأجاب: «طبعاً. إنني بحاجة إلى ذهابك معي. إنك لن تتركيني وحدي مع تلك الهرة التي تبحث عن فريسة. والآن، هل ستذهبين؟» ولمع الهزل في عينيه.

فسألته وقد جف فمها: «تبحث عن فريسة؟»

وقال: «لا تقلقي لذلك، فبإمكاني تدبير أمر ساندي. ولكنني أريدك أن تأتي. هل بإمكانك ركوب الخيل كل تلك الأيام أثناء النهار؟»

قالت: «نعم. بإمكاني ذلك.»

فتركها وهو يتنهد بطريقة مبالغ فيها، واستدار خارجاً وهو يقول: «سأحضر باقي الأطباق من على المائدة.»

لم يسبق أن انتهت من هذا العمل، بهذه السرعة من قبل، ولكنها كانت تعلم أنهما لن يستطيعا التسلل إلى غرفتها بعد الانتهاء من عمل المطبخ. فهما لم يكونا بمفردهما كما أن لديهما ضيفة ينبغي الاحتفاء بها.

وتوهج وجهها لهذه التخيلات. فسألها ألبرت باقتضاب: «والآن، ما هذا؟» كان جالساً على كرسي وساقاه أمامه على المائدة وهو ينظر إليها وهي تعمل، فرأى توهج وجهها.

فقالت: «لا شيء.» كيف يمكنها أن تخبره بما تفكر فيه؟ «ما الذي جعلك تحمرّين خجلاً؟»

فاحمرّ وجهها خجلاً مرة أخرى، وحاولت أن تحوّل

عينيها عن عينيه فلم تستطع. فازدردت ريقها ثم هزت رأسها قائلة: «إنها فكرة حمقاء.»

فقال: «أخبريني.» وكان هذا أمراً.

فاستدارت نحو حوض الغسيل قائلة بحنق: «لا بأس. كنت أفكر في أننا لو كنا نعيش وحدنا لما كان علينا أن نسرع بغسل الأطباق لكي نكون بمفردنا لبعض الوقت، ولكنا أكثر حرية.»

فضحك، قائلاً: «لا عجب أن إدي كان يتكلم دوماً عن بناء بيت له ولزوجته. إنني لم أفهم السبب سوى الآن. هيا، انسي أمر هذه الأطباق.» وأمسك بيديها المبللتين ثم جرّها من المطبخ.

فسألته وهي تركض لتلحق بخطواته: «قف يا ألبرت. ما الذي تفعله؟»

فأجاب: «إنني آخذ زوجتي إلى حيث نكون بمفردنا.»

بعد ذلك بيومين، كان ألبرت يوقظها باكراً وهو يقول: «استيقظي يا ستيفاني، فأنا أحب أن نشرع بالسير باكراً لنستغل برودة البكور.»

أزاح شعرها عن وجهها، وكان قد ارتدى ملابسه كاملة، فنفضت النعاس من عينيها وهي تومىء قائلة: «سأكون جاهزة خلال دقائق.»

فقال: «ارتدي قميصاً بأكمام طويلة منعاً لحروق الشمس.»

كانت آخر شخص نزل إلى المطبخ. وكان جون وساندي قد أنهيا فطورهما. وألبرت يرشف القهوة وجودي كمب تطهي الطعام أمام الموقد.

www.rewayti.net

قالت ستيفاني: «آسفة لتأخري.»

فقال ألبرت: «إنك لم تتأخري فما زال ثمة وقت تتناولين فيه الفطور. إن ادغار يجهز الجياد كما ان بول قد حمّل الأمتعة. إننا سنشرع في السير حالما يستعد الجميع.»

بدا على ساندي التعب والدوار لنهوضها باكراً بهذا الشكل لكنها بدت رائعة ببنطالها الجينز البالغ الأناقة. بينما كان جون يأكل طعامه متجاهلاً الجميع.

ومع بزوغ الفجر تركوا المنزل. وابتدأ نور النهار ينتشر شيئاً فشيئاً، وكان نسيم الصباح بارداً منعشاً.

سار ألبرت في المقدمة، وسرعان ما أصبحت ساندي بجانبه تحدثه وتلقي عليه الأسئلة عن أنواع النباتات التي يمرّون بها. فشعرت ستيفاني لهذا المشهد بفيض الغيرة المعتاد يغمر نفسها، وتمنت لو يناديها ألبرت ويحدثها عن النباتات هي الأخرى، فقد كانت حديثة العهد في استراليا، ولكنها لم تجد وسيلة تنضم بها إليهما.

كان جون يسير بجانب ستيفاني، أما بقية الرعاة فقد كانوا يسيرون أزواجاً خلفهم.

سألها جون: «لقد أخبرني ألبرت أنك أرجعت فسائل الورود إلى بيوتي فلاورز.»

فلم ترد عليه في البداية إذ كانت تنظر إلى ألبرت وهو يحدث ساندي. ولكنها ما لبثت أن قالت: «هذا صحيح.»

فسألها: «وماذا قلت لستيفن؟»

فأجابت: «لم أقل له شيئاً. أظن أنه كان عليّ أن أكتب إليه رسالة أشكره عليها. فمن سوء الأدب أن أتجاهل هذه اللفتة منه.»

فقال: «إنك تعلمين أنه قد أحدث شرخاً في العلاقة بين إدي وكلير.»

فقالت: «لقد أخبرني ألبرت بهذا. ولكن ربما لم يكن هو السبب كله في ما حدث. لقد ابتدأت أدرك شيئاً عن ماهية شعور كلير ذلك الحين.»

فقال راضياً: «كنت أعلم أنك لن تبقي هنا طويلاً.»

فاستدارت تنظر إليه بعينين لامعتين وهي تقول: «والآن، اسمع يا جون دوغلاس، فأنت لا تفقه هذه الأمور. إنني سأبقى هنا. إنني متزوجة من ألبرت ومصممة على البقاء كذلك. ولكن من الصعب أن نشعر بأننا عريسان، خصوصاً في نوع زواجنا هذا حيث لا نجد وقتاً ننفرد فيه ببعضنا. هل فكرت في ذلك قط؟ إنك تعلم كل شيء أقوم به أثناء النهار... متى أدخل الحمام ومتى أكون مع سارة أو مع...» وسكتت فجأة شاعرة بالحرج مما كانت ستتفوه به.

ولكن جون قهقه ضاحكاً وهو يكمل كلامها: «أو مع ألبرت في غرفتكما.»

فردت عليه بحدة: «نعم... إن ذلك يجعل الأمور في منتهى الشذوذ.»

فأخذ ينظر إلى ألبرت وساندي أمامه وهو مستغرق في التفكير. ثم أومأ قائلاً: «ربما كان كلامك صحيحاً. خصوصاً مع امرأة مثلك. فأنت ليس لديك فكرة جيدة عن الرجال.»

فأجابت: «إن فكرتي عنهم ليست بأسوأ من فكرتك وفكرة ألبرت عن النساء.»

فقال: «هذا صحيح. ولكن لدينا أسبابنا.»

www.rewayti.net

فقالت: «هل تظن أنه ليس لي أسبابي أنا أيضاً؟»

فقال لها: «إنك تحبينه وهذا ظاهر عليك. إنه سيرى ذلك يوماً ما. لقد رأت ذلك ساندي فلم يعجبها الأمر.»

فتصلب جسدها وهي تردّ عليه قائلة: «إنه لا يريدني أن أحبه.»

فقال: «هذا فقط لأنه لا يدري شيئاً عن الحب. فقد رحلت أمه عندما كان طفلاً صغيراً. وخطيبته خانته مع رجل آخر. وحب كلير لم يكن من القوة بحيث يثبت مع إدي. هذه هي فقط النماذج التي عرفها ألبرت لحب المرأة.»

فنظرت إليه بحدة قائلة: «أتراك تكشف لي عن مواطن الضعف في ألبرت؟»

قابل نظراتها بمثلها قائلاً: «إنني فقط أوضح لك شخصيته.»

فأمعنت النظر في عينيه لترى ما عسى أن يخفيه، ولكنها لم تجد شيئاً سوى الصدق. واغرورقت عيناها بالدمع وهي تراه أمامها، والغيرة من ساندي تعصف بكيانها. لماذا لا يريد أن يسير بجانب زوجته؟ لشد ما تتمنى لو يحبها.

كان يتهادى على صهوة جواده راسخاً رائعاً. كان رجلاً قوياً، كفوءاً، ناجحاً، ومع ذلك بالغ الرقة يشهد على ذلك شعوره بمسؤوليته تجاه إبنة أخيه. إنه رجل صادق العهد.

ونكزت حصانها متجهة إلى حيث أصبحت على يمين ألبرت فقال لها: «هل أنت مسرورة؟»

أجابت: «نعم، مع أنني أتوقع أن يتقرح جلدي في آخر النهار. لقد مضى وقت طويل منذ آخر مرة امتطيت فيها طيلة يوم كامل. ما المسافة التي سنقطعها اليوم؟»

فأجاب: «من ثماني إلى عشر ساعات.»

فعادت تسأل: «وفي اليوم التالي؟»

أجاب: «سنستمر في السير جنوباً إلى أن أعيد إحصاء البرك الموجودة لكي نلائم معها قطعان الماشية في المنطقة. إننا سنقوم بمسح شامل نعود بعده إلى المنزل.»

فأشرق وجه ستيفاني. كانت تعشق ركوب الخيل.

والتفت ألبرت إلى ساندي قائلاً وهو يهز جواده: «من الأفضل أن ترافقي جدي يا ساندي. فإننا سننطلق راكضين.»

وابتسمت ستيفاني مبتهجة وهي تنكز حصانها. وسرعان ما كانا يطويان الأرض مخلفين وراءهما ساندي وجون وبقية الرجال.

وعندما شدا لجامي الحصانين بعد فترة، ضحكت ستيفاني بسرور واضح هاتفة: «ما كان أروع هذا.»

فقال: «إنك فارسة جيدة. سأخصص لك جواداً.»

فقالت: «ليس لديّ الكثير من الوقت للركوب بوجود سارة.»

فقال: «عندما تكون نائمة، دائماً هنالك بعض الأشخاص قربها. أو يمكننا أن نذهب للركوب عند المساء إذا كنت تحبين هذا.»

فأومأت برأسها دون أن تتكلم، فقد كانت تعلم أنه يكون متعباً في نهاية اليوم، فإن آخر ما يريده في ذلك الحين هو أن يعود إلى صهوة الحصان. ولكنها تأثرت من عرضه هذا على كل حال.

عندما وصلا إلى مساحة صغيرة تغطيها بعض الأشجار

www.rewayti.net

ترجل ألبرت عن ظهر حصانه، تتبعه ستيفاني حيث جلسا تحت ظل شجرة وهو يقول: «سننتظر هنا إلى أن يصل الآخرون، وبعد الغداء نتابع طريقنا. لقد صممت على النزول بجانب بركة معينة حيث ننصب الخيام لقضاء الليل.»

بعد مضي بعض الوقت، وصل الآخرون وشعرت ستيفاني بالأسف لذلك.

وصلوا إلى البركة التي ذكرها ألبرت في أواخر العصر وابتدأ الرجال ينصبون الخيام بسرعة، ثم ذهبوا للتفتيش عن الماشية في البراري. ابتدأت ستيفاني بإعداد العشاء بينما جلست ساندي جانباً تشكو من آلام عضلاتها. وعندما عاد الرجال، تغير مزاجها بشكل غريب، إذ أشرق وجهها على الفور وتملكها الحماس بالنسبة إلى الرحلة، وجلست بجانب ألبرت تخبره كم كانت مسرورة.

قالت ساندي لألبرت وهي تتناول القهوة: «إن بيتك بحاجة إلى تنظيم وبإمكاني المساعدة في ذلك إذا شئت.»

فقال ببساطة: «إن ستيفاني ستهتم بذلك.» ولاحت على شفتيه ابتسامة خفيفة. فشعرت ستيفاني بفيض من الدفء يغمرها فبادلته ابتسامته بخجل.

وفجأة قال جون من جانب النار: «إنه منزل ستيفاني وهي الوحيدة التي لها الحق في أن تنظمه بالشكل الذي يروق لها.»

فاتجهت جميع العيون إليه، وتملك الذهول ستيفاني أهو جون من يدافع عنها، ويقول إن المنزل منزلها؟ جون؟ ولم تستطع تصديق ذلك.

وتأثرت ستيفاني لوقوف جون بجانبها.

وسألت ساندي ألبرت: «إنني متعبة. هل أحضرت مرهم التدليك معك. إنني لم أتعود الركوب هذه المدة الطويلة.»

فأومأ ألبرت برأسه قائلا: «سأحضره إليك.» ونهض ثم إتجه إلى حيث أمتعة المخيم. وعندما عاد ألقى إليها بزجاجة قائلاً: «أرجو أن ينفعك. هيا بنا يا ستيفاني. لقد حان وقت النوم.»

فنظرت إليه باستغراب تسأله: «ماذا؟»

فحمل كيسي نوم تحت إبطه. وقال لستيفاني: «النوم. يبدو وكأنك ستقعين نائمة حيث أنت.»

فأمسكت بيده ونهضت وهي تنظر حولها تسأله: «أين؟»

فقال: «إننا نفتش عن مكان بعيد عن كل شخص. لا تقلقي فالجميع يعلمون أننا في شهر العسل.»

فقالت بارتباك: «أوه، يا ألبرت... إن كل شخص سيظن الآن...» وسكتت فوقف وهو يقول لها: «هذا ما أريدهم أن يظنوه عندما نبتعد من هنا.» واستمر في طريقه بثبات بخطوات واثقة. وسرعان ما أصبحت نيران المخيم نقطة مضيئة وراءهما. ولم يعودوا يسمعان منه حساً. عند ذلك قال ألبرت شاعراً بالرضى وهو يلقي بكيسي النوم على الأرض: «هوذا مكان مناسب.»

عند الصباح انتشروا في البراري يحصون المواشي وقسم ألبرت المجموعة أزواجاً، فجعل ستيفاني مع جون. ولم تعترض هي. ولكنهم عندما تحركوا أدركت أن ألبرت سيكون مع ساندي، فغاص قلبها واستدارت مبتعدة دون أن تنطق بكلمة.

اتجهت هي وجون غرباً، أولاً، ثم جنوباً وأشار هو إلى

www.rewayti.net

مجموعة من الماشية. وشرح لها قليلاً الطريقة التي يجمعونها بها. وتركز الحديث بينهما على الماشية والمزرعة، ولكن ستيفاني وجدته ممتعاً. إنما تمنت فقط لو أن ألبرت هو مرافقها وليس جون. لماذا اختار مرافقة ساندي؟

سألها جون عندما جلسوا للغداء: «هل تتحملين طول الركوب بشكل جيد؟»

فابتسمت قائلة: «نعم رغم آلام العضلات التي شعرت بها.»

فقال: «إنك بحاجة إلى الاحتفاظ بلياقتك الجسدية إذا أردت أن ترافقي ألبرت في مثل هذه الرحلات. فهو يقوم بعدة رحلات في السنة. لقد اعتادت روز أن ترافقني في رحلاتي.» وشردت نظراته وقد تاهت به الأفكار ثم تابع يقول: «كان ذلك منذ وقت طويل جداً.»

وصلوا قبل المساء إلى حيث ألقوا الرحال، وكان ادغار وبول قد سبق ونصبا الخيام بينما لم يصل الآخرون بعد. وجلست ستيفاني قرب النار وقد تملكها التعب وأخذت تراقب ادغار وهو يطهو العشاء، مسرورة لكون ألبرت قد جعل العمل بينهم بالتناوب. فقد بلغ بها التعب أن لم تستطع أن تأكل تقريباً. وتاقت إلى النوم، فتساءلت ما إذا كان لديها وقت لغفوة بسيطة قبل العشاء.

وابتدأ بقية الرجال يتوافدون حيث أخذوا بالعناية بالجياد. ووزع ادغار الطعام وابتدأت ستيفاني تأكل وهي تتساءل أين عسى أن يكون ألبرت وساندي الآن... ولكن، ما أن انتهوا من الطعام، حتى كان ألبرت وساندي يدخلان

المخيم. وأخذت عينا ستيفاني تتنقلان بينهما، ولاحظت ما كان ظاهراً على وجه ساندي من رضاء خبيث. والتوتر الغامض الذي كان يبدو على وجه ألبرت.

سألها ألبرت وهو يجلس إلى جانبها وطبقه مملوء بالطعام: «هل استمتعت بهذا النهار؟»

فأومأت برأسها وهي تبتعد عنه قليلاً ونظرت إلى ساندي، وقطبت جبينها وهي ترى النظرة المتملكة التي كانت تكتسح بها ألبرت.

وقالت له بلهجة عفوية دون أن تنظر إليه: «لقد أطلتما الغيبة.»

فأجاب بلهجة لا تنبىء عن شيء: «إن ساندي لا تستطيع الاسراع في السير.»

جلست ساندي إلى جانبه تقول له وهي تمنح ستيفاني ابتسامة مخاتلة: «لقد أمضينا يوماً رائعاً. أليس كذلك يا ألبرت؟ لقد تعلمت الكثير. إنني في غاية الشوق إلى الغد حيث وعدني ألبرت بأن يريني بركة مياه طبيعية غير ارتوازية.»

فأومأ ألبرت برأسه ثم نهض يحضر فنجان قهوة. بينما قالت ساندي لستيفاني مخفضة من صوتها: «وربما سبحنا في البركة تلك فالجوّ يصبح شديد الحرارة في وسط النهار.»

فقالت ستيفاني وهي تتمنى لو أن ألبرت كان دعاها للسباحة بالنسبة إلى الحر الشديد وسط النهار: «لم أكن أعلم أنك أحضرت معك ثوب سباحة.»

فضحكت ساندي قائلة، وهي تنظر ناحية ألبرت: «إنني

www.rewayti.net

لم أحضر معي ثوب السباحة ولكنها ليست المرة الأولى التي أسبح فيها بثيابي، وكذلك بالنسبة إلى ألبرت كما أظن.»

فتصلب جسد ستيفاني، كيف يجرؤ ألبرت على أخذ ساندي للسباحة دون أن يدعوها هي أيضاً؟ ثم كيف يسبح مع امرأة أخرى. إنه زوجها هي وعليه أن يتذكر ذلك. ونهضت بخفة لتندفع نحو زوجها وقد بلغ بها السخط، وكان هو يتحدث إلى ادغار. وقالت له ببرود: «أريد أن اكلمك.»

الفصل العاشر

ألقى ألبرت بصحنه في مكان الغسيل، ثم أمسك بذراعها مبتعداً بها عن نيران المخيم وهو يقول: «لا بأس. فلنسمع. تبدين غاية في الانفعال، يا ستيفاني.» وكان في صوته رنة هزل خفيفة.

فحدقت فيه قائلة: «ستكون أنت كذلك لو كنت وجدتني أطوف بحماقة مع رجل آخر. أليس كذلك؟»

فوقف، ثم أدارها نحوه بعنف حتى واجهته، ثم نظر في عينيها قائلاً: «مع من تعنين أنني أطوف بحماقة؟ ساندي؟»

فأجابت: «لقد قالت انك ستأخذها للسباحة في إحدى البرك الطبيعية غداً.»

فقال: «إنني لم أقل هذا قط. لقد حدثتها عن البركة. فاذا كانت تريد أن تسبح فهذا شأنها. فالجوّ يصبح حاراً أثناء النهار، وكانت تشكو من هذا طوال بعد الظهر، ماذا جرى؟ هل أنت خائفة من أنني لن أستطيع مقاومة جاذبيتها إذا هي سبحت أمامي؟ لقد أقسمت، عند زواجنا، نفس اليمين الذي أقسمته أنت، يا سيدة دوغلاس، وسألتزم بيميني هذا كما قلت إنك ستلتزمين. إننا متزوجان، نحن الاثنين، وهذا يعني أنني لن اخونك مع أي امرأة اخرى.» وكان صوته خشناً وهو يتكلم، ولكن ستيفاني سمعت كل كلمة قالها. فقالت وهي ترتجف: «ولكنه ليس زواجاً طبيعياً.»

فقال: «بل إنه كذلك.»

www.rewayti.net

فقالت: «ولكننا...»

فقاطعها قائلاً: «ربما لم يكن زواجنا قائماً على الأساس المتعارف عليه، ولكنه ابتدأ يصبح زواجاً طبيعياً بكل تأكيد، فدعي عنك كل الأفكار المتجهمة والمظلمة هذه، واجعلي من هذا الزواج زواجاً ناجحاً. هل فهمت؟»

فأومأت برأسها وهي تنظر إليه بعينين متسعتين بان فيهما الألم. وعاد يقول آمراً: «إنك سترافقين إدغار غداً.»

وأدار ظهره عائداً إلى حيث نيران المخيم.

في اليوم التالي، لم تتكلم إلى ألبرت، وحاولت أن تتجاهل الألم الذي كانت تشعر به وهي تتصوره مع ساندي أثناء النهار. واستعدت لمرافقة إدغار وهي تبتسم باستحياء للفتى. ليس ذنبه هو أن جعلها زوجها مرافقة له. وهكذا كانت، وادغار، أول من ترك المخيم.

رغم تشوقها إلى صحبة ألبرت، استمتعت ستيفاني بالنهار، فقد شجعت شخصيتها الأليفة ادغار على أن يسهب في شرح طبيعة عمله في المزرعة. وحدثها عن الرعاة الآخرين، ومن أين أتوا، ومتى ابتدأوا العمل في مزرعة راوستين وما هي مهماتهم بالضبط. أخبرها بأن أسرته من جونزلاند وسألها عن أسرتها. وانهالت هي عليه بالاسئلة، ما وجدت معه آخر النهار أنها قد أصبحت تعرف الكثير عن المزرعة.

كانت الشمس قد اقتربت من الغروب عندما عاد إدغار وستيفاني إلى المخيم. وبنظرة سريعة من ستيفاني في الأنحاء، أدركت معها أن ألبرت وساندي لم يعودا بعد. فغمرتها الكآبة.

وعندما ترجلت عن صهوة الجواد، أقبل جون إليها قائلاً: «ستيفاني، لقد حصل حادث، فقد أصيبت ساندي في كاحلها فاستدعينا الاسعاف. لقد جاء برينس بطائرته حيث أخذها وألبرت عائدين إلى المنزل.»

فسألته غير مصدقة: «هل عاد معها ألبرت؟»

فأجاب: «كان على شخص ما أن يعود معها، فهي ضيفتنا. لم يكن باستطاعتنا إرسالها بمفردها. لقد اخبرني بول بذلك عندما عدت إلى المخيم.»

سألته في محاولة منها لاستيعاب ما سبق وأخبرها به ألبرت، سألته قائلة: «وكيف حدث هذا؟» لم تستطع تركيز أفكارها فقد كانت منحصرة في ألبرت وساندي وحدهما في المنزل بينما هي على بعد أكثر من مئة ميل وعدة أيام سفر على صهوة الجياد.

فأجاب: «لا أدري، إن لدينا أجهزة راديو صغيرة. فنادى ألبرت بول الذي كان يحتفظ بالراديو الرئيسي بين الأمتعة، فوجدهم واستدعوا الاسعاف وقد أعاد بول جواديهما.»

أومأت ستيفاني برأسها شاعرة بالغثيان. والآن؟ ها ان ألبرت وساندي في المنزل وحدهما لعدة أيام فماذا يعني هذا؟

وسألته: «هل سنعود الآن؟»

فأجاب: «كلا، غداً سنذهب شرقاً وبعد ذلك نعود.»

وفي اليوم الخامس من عودة ألبرت وساندي إلى البيت، كانت تدخل المنزل الرئيسي هذا مجموعة متعبة تعلوها الأقذار والتراب. كانت الأوجاع العضلية التي عانت منها ستيفاني في بداية الرحلة، قد شفيت، لتشعر بعد ذلك بالزهو

www.rewayti.net

إذ اجتازت الامتحان. ولكنها كانت متشوقة لرؤية ألبرت إنما تكاد تشعر بالخوف لما قد يكون تغيّر بسبب افتراقهما هذا.

كانت سارة تلعب خارجاً، فسمعت صوت الجياد القادمة، فركضت تستقبلهم فرحة لرؤية ستيفاني وجدها، فنزل جون عن حصانه واحتضنها بسرعة ثم حملها ليسلمها إلى ستيفاني قائلاً: «احمليها في دورة على صهوة الحصان. فهي تحب ذلك.»

فقطعت بها ميلاً في دقيقة ما جعل الطفلة بغاية السعادة. فقد كانت ستيفاني ببالغ الشوق إليها فضمتها إلى صدرها وهما يدوران حول الفناء.

وتساءلت أين يمكن أن يكون ألبرت الآن. ونزلت عن صهوة حصانها بعد أن ناولت الطفلة لجون، ثم سلمت حصانها لادغار شاكرة وهو يقول لها: «اذهبي واغتسلي، فأنا سأعتني بالحصان، إن سرورنا كان كبيراً بوجودك معنا.»

فابتسمت ستيفاني واستدارت تصعد الدرجات مع جون وهي تسأله: «أين ألبرت؟»

فأجاب: «تقول جودي انه أخذ ساندي إلى المدينة لمراجعة الطبيب بالنسبة إلى كاحلها، لقد كسرته، كما تعلمين. وكانوا وضعوا لها جبيرة.»

إذن فهي لم ترحل. أتراها قررت السكن معهم؟ وشعرت ستيفاني بالمرارة ولكنها قالت: «حسناً، إن هذا يعطينا فرصة نغتسل فيها.» وابتسمت لسارة، فقد أصبحت تماثلها في القذارة عندما كانت هذه تلعب أحياناً في الفناء.

فقال جون: «لقد كانت جودي باشرت في اعداد العشاء، وسأنهيه أنا، فاذهبي واستريحي.»

فقالت: «ولكنك متعب أنت أيضاً.»

فأجاب: «قليلاً، ولكنني معتاد على ذلك. اذهبي واستحمي.»

فأسرعت صاعدة إلى غرفتها، شاعرة بالسرور لهذه الهدنة الجديدة بينها وبين جون. واغتسلت وارتدت ملابس نظيفة وهي تفكر في ألبرت. هل اشتاق إليها يا ترى، كما اشتاقت هي إليه؟ وكانت تلبس ثيابها عندما وقفت الشاحنة أمام المنزل. فانتظرت أن يصعد ألبرت لرؤيتها.

ومرت الدقائق ولم يصعد إليها ألبرت. وسمعت تمتمة أصوات، ثم دخل الرجلان إلى المكتب. وحدقت ستيفاني إلى نفسها في المرآة ببطء وقد ملأتها الخيبة. إنه لم يصعد بسرعة ليرى زوجته، فهو سيراها فيما بعد عند العشاء. وجاءها جواب تساؤلها منذ فترة، وهو أنه لم يشتق إليها.

وعندما أتمت ارتداء ملابسها، نزلت السلم. إن عليها أن ترى ما ابتدأت به جودي للعشاء، وتجهز المائدة فتشغل بذلك نفسها. إنها لن تبحث عن ألبرت، فقد علم بعودتها وإذا هو أراد رؤيتها فبإمكانه أن يجدها.

وعندما كانت تمرّ بجانب الهاتف في القاعة، تصاعد رنينه. فتناولت السماعة بحركة آلية دون أن تفكر في أن شخصاً في المكتب كان سيجيب عليه.

وقالت: «آلو.»

وجاءها الجواب: «ستيفاني؟ إنني ستيفن كاسيدي. كيف حالك؟»

www.rewayti.net

شعرت بالارتباك وقالت تجيبه: «إنني بخير يا ستيفن.»

فقال: «لقد اتصلت منذ أيام فأخبرتني جودي انك ذهبت مع ألبرت إلى المزرعة. وقد رأيت ألبرت اليوم في المدينة فعلمت أنك رجعت. هل أعجبتك الورود؟»

فقالت: «أوه، ستيفن...»

لماذا لم يتصرف ألبرت معه كما كان قال إنه سيفعل؟ فهي قد أصبحت الآن في مأزق حرج تماماً وعادت تقول: «لقد أحببت الورود، في الواقع، فهي جميلة. ولكن لم يكن بإمكاني الاحتفاظ بها. إنني... لقد قمنا بهذه الرحلة ولم نعد سوى اليوم، وأنا أريد أن أنهي زخرفة المنزل وتنظيمه قبل أن أبدأ بغرس الحديقة وغير ذلك، وهكذا أرجعتها إلى بيوتي فلاورز. ولكنها كانت جميلة جداً وأنا شاكرة لك التفكير بي.»

ساد الصمت لحظة، قال بعدها: «إنني مسرور لأنها أعجبتك. كيف كان شعورك عندما رأيت المزيد من مزرعة راوستين؟»

أجابت: «إنها رائعة. ومن الصعب تصديق مبلغ اتساعها. وقد تعلمت الكثير عن العناية بالماشية.»

وهنا دخلت ساندي القاعة وعيناها على ستيفاني وعلى وجهها ابتسامة ماكرة. وأدركت ستيفاني على الفور أن هذه المرأة ستسبب المشاكل إذا هي علمت أن ستيفن هو المتكلم.

وكان ستيفن يقول: «عندما كنا أولاداً، كنا أنا وألبرت نذهب إلى المزرعة حيث كنا نمضي أسابيع أحياناً، كانت رائعة ولكن المواشي لم تهمني قط كما هو الحال مع ألبرت.»

قالت برقة: «إن عليّ أن أتركك الآن لأنني أطهي العشاء.»

فقال: «بالتأكيد. إلى اللقاء عندما تذهبين إلى المدينة في المرة القادمة.»

أقفلت ستيفاني السماعة بلطف ثم نظرت إلى ساندي ثم سألتها بأدب: «كيف حال كاحلك؟»

فأجابت: «إنه بخير. مع من كنت تتحدثين في الهاتف. ليس مع ستيفن كاسيدي طبعاً.»

كانت ستيفاني تقلب الأمر في ذهنها في ما لو أن من الأفضل أن ترد بالإيجاب أو النفي، عندما فتح باب المكتب وخرج الرجلان منه.

«ستيفاني، مرحباً هل استمتعت بالرحلة؟» كان هذا هتاف ألبرت بها وهو يقترب منها، عندما وقعت عيناه على التعبير الذي بدا على ملامح ساندي فتراجع وقد بدا الحذر على وجهه دون أن يتقدم ليعانقها.

فأجابت ستيفاني باقتضاب: «لقد استمتعت بها.» بينما أخذت تفكر في أنه بعد غيبتها عنه عدة أيام، لم يجد ما يقوله لها سوى سؤالها عما إذا كانت استمتعت بالرحلة. وتنهدت. ما الذي كانت تتوقعه؟ لقد كان أخبرها بصراحة أنه لا يريد الوقوع في الحب.

وقالت ساندي وعيناها على ستيفاني: «لا أستطيع تصديق ذلك. تغيبين اسبوعاً وعندما تعودين تتصلين بستيفن كاسيدي حتى قبل أن تحيي زوجك؟»

فغاص قلب ستيفاني وهي ترى الغضب في عيني ألبرت، فقالت: «إنني لم أتصل بستيفن بل هو الذي اتصل.»

فسألها بصوت مخيف: «وكيف علم بعودتك؟»

www.rewayti.net

فأجابت: «لقد رآك وساندي في المدينة اليوم.»

فقال: «وهكذا أسرع يتصل بك؟»

فقالت: «كان يريد الاستعلام عن وصول الورود. وكان من المفروض أن أرسل إليه خبراً بوصولها، إن تجاهله من سوء الأدب.»

فقال: «يا لسوء الأدب... لقد قلت لك...»

فقاطعته: «لقد قلت لي انك ستتصرف بالنسبة لهذا الوضع. فمتى؟ هل بعد أن يزورنا عشر مرات؟ إياك أن يجن جنونك عليّ إذا هو زارنا. فإذا كان هذا الأمر لا يعجبك فتصرّف.»

واندفعت كالعاصفة داخلة إلى المطبخ.

وعندما سمعت باب المكتب ينصفق بعنف، قفزت من مكانها. وبعد لحظة فقط دخل جون قائلاً: «انه يتولى الآن الأمر بنفسه.»

فقالت: «إن حفيدك يؤدي بالمرء إلى... إلى...» وكانت من شدة الغضب بحيث لم تستطع أن تفكر في كلمة قوية تشفي غليلها. لقد جعلها مجنونة فأومأ جون برأسه وقد بدا التفكير على وجهه.

بقي ألبرت صامتاً أثناء العشاء بينما جلست ساندي وعلى وجهها ابتسامة راضية، وعيناها تتنقلان بين ألبرت وستيفاني، أما جون وستيفاني فقد كانا يديران الحديث بالكلام عن سارة واسترجاع ذكريات الرحلة.

عندما أنهى ألبرت عشاءه وقف يعتذر قائلاً: «إنني ذاهب لأتحدث إلى ادغار.» ثم شمل المائدة بنظره وخرج دون كلمة أخرى.

قال جون وهو ينهض: «إنني سأغسل الأطباق الليلة يا ستيفاني، فامضي أنت بعض الوقت مع الطفلة.»

أومأت برأسها وقد تملكتها الدهشة لهذا العرض منه. ألم يكن هو الذي قال منذ أيام إن غسل الأطباق هو من أعمال المرأة؟ وحملت سارة مسرورة أن وجدت شيئاً تقوم به، ثم صعدت بها السلم. وحيث أن قدم ساندي في الجبيرة، فإن قدرتها على الحركة كانت محدودة ولهذا لم تتصور ستيفاني أن ساندي قد ترغب في البقاء مع سارة مدة طويلة الليلة.

أو ربما مع ألبرت.

واستمتعت باللعب مع الطفلة. وعندما لاحظت مقدار اللعب في الغرفة، تساءلت عن عدد المرات التي ذهب فيها ألبرت وساندي إلى المدينة. ولكنها شعرت بالسعادة لرؤية سارة تتلقى بعض الاهتمام من خالتها.

وتركت ستيفاني غرفة الطفلة بعد أن نامت هذه ووقفت عند قمة السلم تتساءل عما إذا كان من الأفضل لها أن تذهب إلى غرفتها وتقرأ قليلاً قبل أن تنام.

ولكنها ما لبثت أن رفعت رأسها بكبرياء، عليها أن لا تظهر الهزيمة أمام ساندي، فإن لها كل الحق في أن تجلس معه في الشرفة إذا هي شاءت ذلك. وهكذا مشت بحزم هابطة السلم، وحذاؤها يحدث صوتاً مسموعاً على الأرض الخشبية. وسمعت صوت ساندي يهتف برقة: «أوه، ألبرت.» إذن فقد كانا هما الاثنان في الشرفة فسحبت نفساً عميقاً، ثم دفعت باب الشرفة لتقف على العتبة مصعوقة.

www.rewayti.net

كانت ساندي جالسة قرب ألبرت. وبقيت ستيفاني واقفة تحدق فيهما غير مصدقة عينيها، ولا مقدار ما أحست به من ألم لهذا المنظر. لقد كان هو نفس مشهد مايكل من كل نواحيه، مرة أخرى. كانت مصعوقة محبوسة الأنفاس، وتساءلت لحظة عما إذا كان قلبها سيتحطم. لم تستطع تصديق ذلك.

«ستيفاني.» صرخ ألبرت باسمها وهو يبعد ساندي عنه.

وكل تلك الكلمات الرائعة التي أسمعها إياها تلك الليلة في المخيم، كانت كلها مجرد... كلمات. كلمات لا تعني شيئاً. واستدارت على عقبيها لا تعرف إلى أين تذهب لتتخلص من كل هذا الألم. إنها لا تستطيع التصديق.

«ستيفاني، انتظري.» وقبض على ذراع ساندي وجرها على أرض الشرفة إلى أن وصل إلى ستيفاني فأمسك ذراعها هي الأخرى بيده الثانية ممسكاً بذلك، بالمرأتين وقد بدا العزم على وجهه عنيفاً في الضوء المنبعث من القاعة.

قال وعيناه لا تتركان عيني ستيفاني: «أخبريها يا ساندي. أخبريها بسرعة.»

فقالت بصوت خفيض شجي وعيناها هي أيضاً على ستيفاني بينما ارتسمت على شفتيها ابتسامة متحدية، قالت: «ماذا يا حبيبي؟»

فالتفت إليها وهو يهزها قليلاً ويقول بصوت كالثلج: «أيتها الأفعى، أخبريها عما حدث، وإلا فستسيرين مشياً إلى سيدني الآن، في هذه اللحظة.»

فلعقت ساندي شفتيها ثم هزت كتفيها قائلة: «لقد فقدت توازني. فهذه الجبيرة جديدة لم أتعود عليها بعد.» كانت

تتكلم بلهجة وقحة وهي تحاول جذب ذراعها من قبضته القوية.

قالت ستيفاني وهي ترفض النظر إلى أيّ منهما: «فهمت.» وكانت تعلم أن ليس بإمكانها أن تتخلص من قبضته فلم تحاول ذلك.

فقال ألبرت: «ويحك، يا ستيفاني. لا تتصوري أشياء هي غير موجودة.»

وقالت بحزم: «كلا، لن أفعل ذلك. لقد جئت فقط لأخبرك بأنني سأذهب إلى الفراش باكراً. إنني متعبة جداً من عناء الرحلة وهذه أول ليلة أنام فيها في سرير.»

وجذبت يدها من يد ألبرت واستدارت عائدة فصعدت السلم مرة أخرى. متى تراها ستتعلم؟

لا شيء قد تغيّر، ولن يتغير شيء في المستقبل. هل هذا هو نوع الحياة التي أرادت؟ وأغلقت الباب ببطء ثم استندت إليه لحظة طويلة تتساءل هل يكفي أن يكون لديها سارة؟

استيقظت أثناء الليل وهي تحس بألبرت إلى جانبها. إنها تريد أن ينجح هذا الزواج. ماذا بإمكانها أن تصنع لكي لا يتحطم بسبب ساندي؟ هل يكفي الاخلاص والثبات من جانبها؟ هل من الممكن أن يحبها ألبرت يوماً ما؟

لقد كانا قد ابتدآ يبنيان مستقبلهما. وهذا لن يتحطم في ليلة واحدة. إنها ستعطي الأمر مهلة أخرى. ربما سترى في ألبرت ما يطمئنها إلى أن لديهما فرصة بعد.

وعندما استيقظت عند الصباح، كان هو قد خرج منذ وقت طويل. فقد كان الفراش بارداً فارتدت ثيابها وهبطت السلم بسرعة لتعدّ طعام الفطور.

www.rewayti.net

وعندما كانت تضع الكعك في الصحون، دخل ألبرت من حيث كان في الفناء وهو يقول: «يبدو أن المطر سيهطل هذا النهار.» وسار نحوها مباشرة يحدق فيها برهة. كان يبدو عليه الرضى. وأخذ قلبها يخفق بسرعة. وحدقت في عينيه ولكنه ابتسم لها ومن ثم اتجه إلى المائدة. واحمر وجهها ثم أسرعت بإعداد الطعام.

قال جون: «إن هذا وقت هطول بعض الأمطار. إن ابتداء العواصف يسعدني على الدوام، وبعد ذلك أعتاد عليها، ولكن مضت شهور الآن منذ أمطرت السماء آخر مرة.»

فسألت ستيفاني وقد ابتدأت تتناول الطعام: «هل سينبت هذا المطر الأزهار البرية؟»

فأجاب ألبرت: «إننا لا نعرف كم سينزل من المطر. فالغيوم تتراكم وقد يسوء الجو، ولكننا عادة لا نرى زهوراً كثيرة بعد هطول المطر لأول مرة. إنني سأخرج هذا الصباح ولكنني سأعود باكراً. إذ لا لزوم للبلل بالمطر في هذا الوقت المبكر من الفصل.»

فسألته: «هل يمكنني القدوم معك؟»

فأجاب: «ليس اليوم. ابقي هنا مع سارة فقد اشتاقت إليك أثناء غيابك.»

وتساءلت عما إذا كان هو اشتاق إليها أيضاً. وأومأت برأسها فهي لم تتوقع منه حقاً أن يدعوها للذهاب معه. ولكنها أرادت أن تفعل شيئاً يقوّي من الرباط الذي بينهما.

وقال لها وهو يتهيأ للخروج: «خذي شيئاً لساندي لكي تأكل، فإن من الصعب عليها التجوال بهذه الجبيرة. وبعد ذلك بإمكانها أن ترتدي ثيابها على مهل.» فأومأت

ستيفاني برأسها وهي تحدق في صحنها، ان تكون ممرضة لساندي هو آخر شيء تريده. ولكن هذه المرأة ضيفتها وعليها أن تقوم بواجبها نحوها.

وعندما صعدت بصينية الطعام، بعد ذلك إلى غرفة ساندي كانت هذه مستيقظة، ولكنها ما زالت في الفراش. وعندما دخلت ستيفاني بدا على هذه خيبة الأمل. وقالت لها: «شكراً يا ستيفاني. لقد اعتاد ألبرت أن يحضره لي ولكن يبدو أنه سلمك هذه المهمة بعد عودتك.» وابتسمت بمرح. وشعرت ستيفاني بالاستياء وهي تعلم أن ألبرت كان يحضر إلى غرفة ستيفاني كل صباح. إنها ستحاول في المستقبل أن لا تلجئه إلى ذلك.

وقالت لها: «هل تريدين شيئاً آخر؟» لقد كانت بشوق إلى رؤية سارة، ولكن ساندي قالت: «إنني آسفة لما حدث الليلة الماضية. لقد قال لي ألبرت انه ما كان لي أن أغيظك بذلك الشكل. ولكنني حقاً تعثرت ووقعت على كرسي بقربه وكنت محظوظة أن أمسك بي فلم أقع.»

كانت تتحدث وهي تمعن النظر في وجه ستيفاني ولكن هذه هزت كتفيها قائلة: «سأذهب إلى سارة الآن، وإذا احتجت إلى شيء ناديني.»

فسألتها: «هل ألبرت هنا؟»

فأجابت: «كلا، فقد خرج.»

فتمتمت ساندي بمكر: «أظنه بحاجة إلى ملاحظة العمل خارج البيت بعد أن بقي أياماً معي في المنزل.» ولكن ستيفاني رفضت أن تنجرّ إلى مثل هذا الاستفزاز الواضح، فلم تزد عن أن ابتسمت وهي تدخل إلى غرفة سارة تخرجها

www.rewayti.net

من سريرها وتلبسها ثيابها. وما أن عادت لتأخذ الصينية من غرفة ساندي، ثم أنهت غسيل الأطباق، حتى كانت تغلي من الغضب. فقد دأبت ساندي على ذكر التعليقات المختلفة عما كانت تفعله مع ألبرت، مع التلميحات الخفية الماكرة إلى أشياء حدثت بينهما. ولم تعرف ستيفاني هل تصدقها أم لا، ولكن الحقيقة كانت واضحة وهي أنها كانت تريدها أن تجن بمثل هذا الكلام. وأرادت أن تهرب منها إلى مكان تتنفس فيه.

وعندما تصاعد رنين الهاتف، أسرعت ترفع السماعة، إذ أن جون كان قد خرج هو أيضاً.

«ستيفاني دوغلاس؟»

«نعم.»

«هنا ألفريد ستيوارت من مكتب البريد في مدينة بولنغ كريك. إن لدينا عدة صناديق كبيرة لك وصلت هذا الصباح فقط.»

وابتسمت ستيفاني. ما أبدع هذه الفرصة لكي تهرب فترة من هذا البيت. فقالت: «هذا عظيم. سأحضر اليوم لأخذها. إنها أشيائي وصلت من أميركا، سأحضر حالاً.» ووضعت السماعة باسمة. إن لديها عذراً مشروعاً للذهاب إلى المدينة والتخلص من رؤية ساندي عدة ساعات. ولم تستطع الصبر عن احضار حاجاتها التي قد تشعرها وهي تراها حولها، بأنها في بيتها حقاً.

قالت لها ساندي وهي خجلى داخلة إلى القاعة من غرفة الجلوس: «أظن من اشراقة وجهك، أن الذي اتصل بك هاتفياً هو ستيفن كاسيدي.» كانت تحمل في يدها مجلة. أتراها كانت تسترق السمع؟

فأجابتها بضجر: «لا تكوني حمقاء، ولكن عليَ أن أذهب إلى المدينة لفترة قصيرة. هل لك أن تنتبهي لسارة؟»

فأجابت: «طبعاً، فأنا خالتها، أليس كذلك؟»

فقالت ستيفاني: «سأطعمها ثم أرقدها في سريرها. هل تستطيعين تدبير أمرها إذا هي استيقظت قبل أن يعود أحد؟» وكانت تتساءل كم تراها ستغيب في المدينة؟ لا أقل من ثلاث ساعات.

فأجابت ساندي: «بالتأكيد، فأنا لست عاجزة كلياً عن الحركة رغم بطئي، ماذا تريدينني أن أخبر ألبرت؟» وألقت سؤالها هذا بخبث، فقطبت ستيفاني جبينها، ثم رفعت رأسها عالياً وهي تقول: «لا تتعبي نفسك بذلك، فأنا سأتصرف مع ألبرت.»

منتديات روايتي (بلا عنوان)

www.rewayti.net

الفصل الحادي عشر

ما أن شرعت ستيفاني في السير نحو مدينة اديلايد حتى تذكرت ما سبق وقال ألبرت من أن المطر سيهطل. ومن منظر الغيوم الكثيفة السوداء من الشمال أدركت أن ثمة عاصفة هوجاء قادمة. ولكن الشمس مازالت تشرق على المنزل، وربما يتأخر المطر عدة ساعات، وترددت لحظة وهي تنظر إلى الأفق، ولكنها عادت تقود السيارة بسرعة. انها تريد أن تذهب إلى المدينة لتتخلص من صحبة ساندي. ثم انها كانت تقود سيارتها تحت المطر طوال حياتها، فإلى أي حد يمكن أن تكون عليه العاصفة من العنف؟

وبوصولها إلى ضواحي المدينة، أدركت ستيفاني مبلغ العنف الذي ستكون عليه العاصفة. فقد ابتدأ المطر يهطل كالسيل، حتى لم تعد مساحات السيارة تفيد شيئاً. وما أن اصبحت على بعد عشر دقائق من المدينة، حتى شعرت وكأنها تسير تحت خراطيم مياه الإطفاء، وابتدأت برك المياه تتجمع في جنبات الطرق حيث لم يعد بإمكان الأرض امتصاص المياه بالسرعة الكافية. وكانت تجري تحت الجسر الخشبي قرب المدينة، مياه موحلة، وكاد المطر يحجب عن عينيها الرؤية، لقد ادركتها العاصفة. وكان كل أملها هو أن يكون مدخل مكتب البريد مسقوفاً فلا يغرق صناديقها المطر وهي تحملها في سيارتها.

ولكن لا شيء استطاع أن يمنع عنها البلل. وقد أدركت هذا

عندما كان موظف البريد يساعدها على تحميل صناديقها في السيارة. فقد كانت صناديقها بارزة من صندوق السيارة، وسرعان ما اغرق المطر الثقيل، والريح الكاسحة، الغطاء البلاستيكي الخفيف الذي غطت به الأمتعة. كما ابتل شعرها وكذلك بنطالها. ولكنها انهت اخيراً تحميل الأمتعة في الصندوق والمقعد الخلفي من اللاند روفر. كان هذا بقية اشيائها. فقد كانت باعت كل شيء ما عدا اشياء قليلة عندما تركت كاليفورنيا، وهي إلى ما كانت احضرته معها عند مجيئها إلى اوستراليا، كانت تمثل كل ما تملكه في هذا العالم، ان عليها أن تتصل بجدتها هذا المساء لتخبرها بأنها استلمت الصناديق. وتسألها عن احوالها، وربما حدثتها عن ألبرت.

وبدا الجو مظلماً تقريباً رغم أن النهار كان في منتصفه، وأخذت الرياح تطوح بالسيارة ما أرغمها على السير ببطء خلال المدينة، ثم استدارت إلى الطريق الذي يقود إلى مزرعة راوستين. ربما سترى المزرعة بعد كل هذا المطر، ولكنها الآن لم تكن ترى سوى مدينة اديلايد، التي استحالت الآن إلى نهر واسع موحل يحيط بالجسر الصغير. وأوقفت ستيفاني السيارة وأخذت تحدق من خلال الزجاج الغائم بفزع. كان عليها لكي تصل إلى الطرف الآخر، أن تخوض كل هذه المياه، بينما هي لا تدرك مبلغ عمقها، ولا أين تنتهي جوانب الجسر. وتملكها الخوف، ونظرت إلى يسارها حيث المياه المتموجة. وتساءلت عما إذا كان يحسن بها أن تحاول، ولكن اتراها ستصل إلى منتصف الطريق فتغرقها عند ذلك المياه؟

www.rewayti.net

عندها رأت في المرآة وهج ضوء، استدارت لترى سيارة ستيفن كاسيدي الرسمية تقف خلفها. وبعد لحظات كان يقف عند نافذتها، وقد ارتدى معطفاً واقياً من المطر تنساب عليه المياه. فأنزلت زجاج سيارتها وشعرت بالمطر يصفعها في وجهها بشدة. فهتف بذعر: «ستيفاني، ماذا تفعلين هنا؟»

فقالت: «إنني احاول العودة إلى منزلي، ولكنني خائفة من الخوض في هذه المياه.»

فقال: «لقد جئت أنا لافحص الأمر، فمثل هذا الطوفان يحدث عادة في مثل هذا الجو. انني لا احبذ لك أن تحاولي المرور، فهذا صعب بالنسبة إلى سيارة بأربع عجلات، فالتيار قوي جداً أحياناً. إن المياه ستتراجع حالما يتوقف المطر. وهذا لا يأخذ اكثر من ساعتين.»

فقالت: «ساعتان؟» وعادت تنظر إلى المياه تتساءل عما إذا بإمكانها المحاولة. وعاد هو يقول: «عودي إلى المدينة، وعندما تغور المياه يمكنك أن تذهبي إلى المنزل. يمكنك أن تتصلي هاتفياً باسرتك إذا كنت تخشين أن يقلقوا لأجلك.»

كانت هذه نصيحة حسنة. فهي لم تكن تريد أن تجازف حقاً. انها ستذهب إلى مقهى شتراوس حيث تتناول شيئاً تشربه، ثم تنتظر انتهاء العاصفة.

بعد ذلك بدقائق، كانت ستيفاني تشرب الشاي في المقهى. وكانت قد جففت شعرها، في استراحة السيدات، قدر الامكان، ثم خلعت سترتها المبللة ووضعتها على ظهر الكرسي، ثم جلست قريبة من المدفأة. كان الشاي جيداً

وكذلك فطيرة الكرز. وفي الخارج كان المطر مازال يهطل مدراراً، وكذلك السماء سوداء والريح تعصف.

جلست إلى نفس المائدة التي كانا، هي وألبرت، قد جلسا إليها في أول يوم لها في هذه البلاد. وتذكرت الحديث الذي كان دار بينهما في ذلك الحين. لقد حدث الكثير في الأسابيع القليلة التي تلت. ولكن انجذابها لذلك الرجل لم ينقص أبداً وتمنت لو كان معها هنا. فالخوف من العودة إلى المنزل ما كان ليتملكها وهو وراء المقود.

دخل ستيفن كاسيدي المقهى، فاندفعت معه هبة من الهواء البارد. وعندما نظر حوله إلى مائدة خالية، وقعت عيناه على ستيفاني فتوجه رأساً إليها حيث خلع معطفه الواقي ونشره على كرسي، ثم جذب الكرسي الذي أمامها وجلس عليه وهو يسألها: «هل اتصلت بالمنزل؟»

فأجابت: «كلا، كنت آمل أن يتوقف المطر.» فهز رأسه قائلاً: «لن يتوقف بهذه السرعة. هنالك (كابينة) هاتف خارج المقهى، ضعي معطفي عليك لكي لا تتبللي.»

فارتدته، وكان واسعاً عليها، ولكنه سيحميها من المطر على الأقل. وعندما خرجت تملكتها الدهشة لدرجة البرودة التي أصبح عليها الجو. فقد كان المقهى دافئاً. ووضعت قطعة النقد في آلة الهاتف، وسرعان ما سمعت الرنين من الطرف الآخر، كان الخط مليئاً بالأصوات المخرشة الحادة الناشئة عن العاصفة، فأبعدت السماعة عن أذنها قليلاً.

وجاءها صوت جون: «آلو.»

فقالت: «أنا هنا ستيفاني، يا جدي.»

فهتف: «أين أنت الآن يا فتاة في مثل هذه العاصفة الممطرة.»

www.rewayti.net

فأجابت: «إنني في اديلايد في مقهى شتراوس.» كانت الأصوات المخرشة فظيعة. وعادت تقول: «لقد أغلق ستيفن الجسر.»

فهتف بها بصوت بدا ضعيفاً غير واضح: «ارفعي صوتك يا ستيفاني، فأنا لا اسمعك جيداً.»

فرفعت صوتها تقول: «انني لن آتي إلى المنزل...» وهنا ارتفع صرير حاد في الخط، فهزت رأسها وعادت تحاول مرة أخرى صارخة: «انني لن آتي إلى المنزل قبل أن يتوقف المطر ولكنني بخير.»

ولكنها لم تسمع سوى التخرشات في الخط.

وعادت تصرخ: «جدي.»

ولكن لا شيء.

فأعادت السماعة ببطء وهي ترجو أن يكون فهم ما قالت له وبالتالي لن يتملكهم القلق بشأنها. ونظرت إلى الشارع، كان المطر مازال يهطل يصحبه الرعد. والمياه تجري في الشارع كالسيول. وارتجفت وهي تسرع داخلة إلى دفء المقهى.

وقالت له وهي تخلع المعطف: «اشكرك يا ستيفن.» سألها: «هل استطعت الاتصال؟»

أجابت: «اظن ذلك. فقد كان هناك الكثير من الأصوات المخرشة، ثم سكت الخط، ولكنني أخبرت جون بأنني هنا.»

وعندما عادت إلى مقعدها، لاحظت أنه طلب فنجاناً من القهوة، وانتبهت فجأة إلى غرابة الموقف إذ تجلس معه إلى المائدة بعد أن كان ألبرت طلب منها الإبتعاد عنه. وتساءلت عما تراه قد قال بالضبط لستيفن في الهاتف.

وقال ستيفن وهو يميل برأسه ساخراً: «لولا خوفي من أن يقطع ألبرت رأسي، لدعوتك إلى منزلي لتنتظري انتهاء العاصفة. إنه ذو نزعة استبدادية متملكة. اترينني تجاوزت حدودي معك بشيء، يا ستيفاني؟ لم أهدف إلى هذا قط.»

فهزت رأسها قائلة: «كلا. لقد استاء ألبرت بالنسبة إلى الورود، ولكن...» ولم تعرف ما عليها أن تقول.

وعاد هو يقول: «ولكنه مستبد. نعم، لقد ادركت ذلك تماماً عندما اتصل بي لكي ابتعد عن زوجته. لقد قال ذلك بكل صراحة.» وانهى قهوته ثم نهض وهو يقول: «عليّ ان اذهب الآن الى العمل. سأخبرك عندما يصبح الجو ملائماً لمتابعة طريقك إلى منزلك.»

فابتسمت له شاكرة، وأخذت تتابعه النظر وهو يخرج.

كانت ستيفاني تتناول ثالث كوب من الشاي، وتنهي ثاني رسالة كتبتها على ورقة احضرها إليها النادل، عندما عاد ستيفن، متجهاً رأساً إليها. فابتسمت له قائلة، وهي ترى المطر يسيل من معطفه: «أرى الجو مازال ممطراً؟»

فأجاب: «نعم، ولكنه خف قليلاً. لقد ذهبت لرؤية الجسر فوجدته مازال مغلقاً، حتى ينخفض منسوب المياه إلى حد يكفيك للمرور بعد ساعة أو نحوها. وسأذهب معك لكيلا تقعي في أي مشكلة.»

طلب ستيفن فنجاناً من القهوة، ثم جلس مع ستيفاني ريثما يحضره النادل إليه.

سألته: «هل وقعت حوادث؟»

فأجاب: «أبداً. فمعظم الناس مكثوا في بيوتهم عندما رأوا نذر العاصفة.»

www.rewayti.net

فقالت: «كما كان يجب عليّ أنا أن افعل.»

فأومأ قائلاً: «ولكنك لم تكوني تدركين ما سيبلغ إليه الأمر من السوء.»

فقالت: «كلا. فالمطر لم يبدأ بالهطول إلا بعد أن وصلت المدينة تقريباً. وسرعان ما أخذ يهطل مراراً حتى لم أعد أرى طريقي.»

قال: «إنه ليس جوّنا المعتاد، ولكنه كذلك ليس مستغرباً.»

وفي تلك اللحظة، اندفع الباب مفتوحاً، ودخل منه ألبرت دوغلاس. كان يرتدي سترة جلدية ينساب منها الماء عند الكتفين، وبنطال جينز وحذاءً طويلاً. كما كانت قبعته مبتلة بالماء. توقف لحظة التمعت بعدها عيناه وهو يرى ستيفاني فمشى نحوها وحذاؤه يحدث صوتاً غير عادي جعل الأحاديث تتوقف والعيون تتحول إليه.

كان يحمل في يده باقة كبيرة من الورود الحمراء كان الماء يقطر من براعمها المتفتحة. وضاقت عيناه وهو يرى ستيفن يقف ثم يستدير ليواجهه، وما لبثت نظراته أن تلاقت بنظرات ستيفاني خلف ستيفن ودون أن يحول نظراته تلك اندفع نحو المائدة بعنف ثم ألقى بالورود المبللة على الأرض. بدا لعينيها طويلاً مخيفاً. وشعرت برذاذ الماء من الورود يصيب قميصها فرفعت بصرها إليه وهي تزدرد ريقها فقد كان في أشد الغضب.

ولكنه استدار نحو ستيفن قائلاً: «ما الذي تفعله هنا مع زوجتي؟»

لم تسمع ستيفاني قط من قبل صوتاً يحتوي مثل هذا

الغضب. وتسمرت في مكانها إزاء هذا المشهد. كان عليها أن توضح الأمر ولكنها لم تعرف بالضبط السبب الذي جعل ألبرت مجنوناً بهذا الشكل. هل هذا فقط لأنه رأى ستيفن معها؟ ولكنهما الآن في مكان عام.

وقبل أن تقول شيئاً، قال ستيفن: «إننا نتحدث فقط عن الوقت الذي يكون فيه الجسر صالحاً للسير فوقه. أظنك جئت عابراً عليه.»

ولكن ألبرت أجابه بعد نظرة سريعة ألقاها على المائدة وقد تقبضت يداه والشر يلمع في عينيه، أجابه قائلاً: «هل اعطاؤها الخبر عن الجسر يلزمه تناول قهوة؟ إن ذلك لا يستغرق ثلاث ثوان.»

ونظرت ستيفاني إلى الورود الملقاة أمامها بكل روعتها وقد ملأ أريجها الجو، وقطرات الماء تلتمع على أوراقها كالبلور. من أين أحضر هذه الورود؟ ان ذلك يحمل دلائل شتى. وتوقفت عن الاستماع إلى ما كان يدور بين الرجلين وهي تحاول أن تستنتج تلك الدلائل. ذلك أنه لا يوجد ورود في المزرعة، فمن أين أحضرها ألبرت؟ وهي تعرف أن بيوتي فلاورز هي الوحيدة التي تستنبت الورود. أتراه ذهب إلى هناك وقطفها تحت وابل المطر؟

والورود الحمراء تعني الحب، فهل يدرك ألبرت ذلك؟ ورفعت رأسها تحدق فيه. وكان يبدو وكأنه يهم بضرب ستيفن.

وقالت برقة بالغة، وعيناها تنطقان بالتساؤل والأمل، والحب: «ألبرت.»

فنظر إليها قائلاً بحدة: «سيكون تصرفي معك بعد أن انتهي منه.»

www.rewayti.net

نهضت ستيفاني وارتدت سترتها الخفيفة، وجمعت رسائلها ووضعتها في حقيبة يدها. ثم حملت باقة الورد بين ذراعيها لتستدير بعد ذلك حول المائدة وتقف بين الرجلين. وشحن الجو بالتوتر. ولكنها لن تدع هذين الرجلين اللذين كانا صديقين ذات يوم، لن تدعهما يتقاتلان بسببها.

قالت لألبرت: «أشكرك لقدومك لأجلي. كنت أظن أنني سأمكث هنا ساعات.»

فقال: «انك لم تتمكني من الهرب، أليس كذلك؟» والتفت إلى ستيفن عابساً وهو يقول: «إنني آسف لأجلكما إذ أفسد المطر خطتكما. ترى أنني لا أتنازل عن زوجتي بالسهولة التي تنازل بها إدي عن زوجته.»

فسأله ستيفن بحيرة: «ما هذا الذي تتحدث عنه؟»

فأجاب: «لقد أخبرني جدي أن ستيفاني اتصلت به لتخبره بأنها غير راجعة. ولكنها ستفعل حتى ولو تبعتكما أنتما الإثنين إلى سيدني، أو ملبورن أو حتى كاليفورنيا. إنها زوجتي وأنا أتمسك بما أملك.» وشدد من قبضته على يد ستيفاني. ولكنها لم تنتبه إلى الألم، بعد أن سمعت ما قاله من أنه سيتبعها حتى إلى كاليفورنيا لو احتاج الأمر. وأخذ قلبها يخفق بسرعة. هل من الممكن أن يقول شيئاً كهذا لو لم يكن يحبها؟

قالت: «لقد انقطع الخط.»

فنظر إليها يسألها: «ماذا؟»

أجابت: «انقطع الخط عندما كنت اتحدث مع جدك فلم يسمع بقية كلامي. لقد كنت قلت انني لن أعود إلى البيت قبل انقطاع المطر.»

فسألها: «وما الذي أتى بك إلى المدينة على كل حال؟»

أجابت: «لقد وصلت بقية أمتعتي من كاليفورنيا هذا الصباح فجئت لآخذها. ولم أكن أعلم ان العاصفة ستهب بهذا الشكل. حتى في كاليفورنيا لا نشهد عواصف كهذه.»

فسألها: «أتعنين أنك لم تكوني هاربة مع ستيفن؟» فسمعت ستيفن يتمتم بسباب خلفها ولكنها لم تحول نظراتها عن وجه الرجل الذي تحب، وهي تقول: «ولماذا أهرب مع ستيفن؟ ان أسرتي هي في مزرعة رواستين وحبي هناك.»

وقال ستيفن بصوت اخترق عنفه سكون المكان: «ليكن في علمك فقط يا ألبرت، أنني لا أهرب مع زوجات رجال آخرين.»

فتشابكت نظراتهما، وساد الصمت بين الرجلين لحظة طويلة سأله ألبرت بعدها: «وماذا بالنسبة إلى كلير؟»

فأجفل ستيفن سائلاً: «ماذا عنها؟ هل تظن أنني كنت هربت معها؟ لقد كنت ذلك اليوم مسافراً إلى سيدني، فجاءت إلي طالبة مني أن أوصلها معي. ولم أعلم إلا فيما بعد أنها كانت هاربة من منزلها. هل كنت تظن طوال ذلك الوقت انني كنت هارباً معها؟»

فأومأ ألبرت برأسه ايجاباً.

فمد ستيفن يده يأخذ معطفه يرتديه، ووضع قبعته على رأسه ثم نظر أولاً إلى ستيفاني، ثم إلى ألبرت، وقال: «للأسف. إنني لن أمدّ إليك يدي بعد الآن إذا كنت تصدق ذلك عني بعد صداقة بيننا دامت خمسة وعشرين عاماً.» ثم استدار وغادر المقهى.

www.rewayti.net

اتجه ألبرت وستيفاني خارجين من مقهى شتراوس إلى حيث كان المطر ما يزال ينهمر. فارتجفت ستيفاني من البرد المفاجيء بعد دفء المقهى. ولكن المطر لم يعد بمثل عنفه السابق كما أن الريح سكنت. ربما بامكانهما الذهاب الآن إلى البيت. وأشارت إلى حيث كانت سيارتها قائلة: «إن اللاند روفر هناك.»

فأومأ ألبرت قائلاً: «انك ستأتين معي. وسأرسل فيما بعد أحد رجالي لاحضارها.»

وفي لحظات، كانت الشاحنة تغادر بهما المدينة، دون أن تتوقف عند المياه التي كانت تغمر الجسر وانما عبرته ببطء والمياه تغمر العجلات وسرعان ما كان يتجه بها نحو مزرعة راوستين.

قال ببطء: «لا يمكنني أن أصدق أنك كنت مع ستيفن.»

فردت عليه قائلة: «ان جلسة إلى فنجان قهوة لا تقارن بخمسة أيام منفردين معاً يا حبيبي ألبرت.» قالت الكلمتين الأخيرتين تقلد بهما مخاطبة ساندي له. كانت ما تزال حائرة بالنسبة للورود. ليست من عادة ألبرت أن يحضر إليها أزهاراً، حتى أنه أعلن مرة أنه لن يحضر لها أبداً مثل هذه الأشياء... ولم تستطع أن تعرف ما يجول في ذهنه، ولكنها جلست إلى جانبه بهدوء مسرورة بالأزهار الجميلة. وكانت قد نشفت في حرارة الشاحنة فملأ أريجها جو العربة.

الورود الحمراء ترمز إلى الحب، فلماذا أحضرها لها؟ وسألته: «أصحيح انك كنت ستذهب إلى كاليفورنيا لاحضاري.»

فقال: «لقد قلت هذا. أليس كذلك؟»

فسألته: «أولاً، ما الذي جعلك تظن أنني هربت.» لقد أدهشها أن يفكر بمثل هذا. ذلك أن جده سبق ولاحظ حبها له، فهل من الممكن أن لا تراود ألبرت ولو فكرة بسيطة عن شعورها نحوه.

قال: «لقد أخبرتني ساندي أنك ذهبت مع ستيفن بعد أن اتصل بك هاتفياً هذا الصباح.»

وساور ستيفاني، لحظة، شعور بالذنب. فهي لم تستنكر ما تكهنت به ساندي عن تلك المخابرة عندما دخلت عليها القاعة. وكانت هذه هي النتيجة. فقالت ستيفاني متأملة: «ألم تشعر قط بأن ساندي تستمتع باثارة المشاكل بيننا؟» كانت تستعيد في ذهنها كل الآلام والعذاب الذي سببته لها التعليقات الخبيثة الماكرة لتلك المرأة والغيرة غير المحدودة التي كانت تشعر بها.

فأجاب: «بالتأكيد. فهذه هي أساليبها. وأنا أدركت ذلك منذ البداية. المهم هو أن لا تدعيها تؤثر عليك.»

فتمتمت قائلة: «الكلام أسهل من العمل.»

فقال: «اذا شعرت هي أن بإمكانها التأثير عليك، فستتابع ذلك. وعندما تدرك أن ليس باستطاعتها ذلك فسيتملكها الضجر وتسكت. ما الذي جعلك تستائين منها؟»

قالت بحزن: «إن ساندي تشعر أن زواجنا ليس زواجاً حقيقياً، فهي لا تفتأ تدلي بتعليقات خبيثة عن ذلك. أظنها أضعفت ثقتي في امكان نجاح زواجنا.»

فقال: «لقد سبق وبحثنا هذا الأمر من قبل. ان زواجنا هو حقيقي. ربما لم تكن الظروف التي أدت إليه طبيعية، انما لا تخطئي التقدير، فهذا هو الزواج الحقيقي. أنت تفرغين

www.rewayti.net

طاقتك في البيت، وأنا أفعل نفس الشيء. ونحن معاً نبني حياة، ونربي سارة. ما هو الشيء غير الحقيقي في ذلك؟»

فبقيت صامتة مدة طويلة لا تعرف كيف تعبر عن نفسها دون أن تكشف له عن حبها اليائس.

أجابت: «حسناً، ظننت أنه قد يكون بيننا شيء أكثر من هذا شيء يجعله يبدو حقيقياً.»

فقال: «مثل ماذا؟»

فأجابت: «التحدث معاً كما فعلنا عند قدومي من السفر. المشاركة في الآراء والأحلام. أشياء كهذه...» وسكتت. لم تكن واثقة من أن هذه هي فقط الأشياء المفقودة في زواجهما. ولكنها كانت قد استمتعت في أول أسبوع عندما أخذها للتمشي وحدهما حول المنزل.

فقال: «إنني لست محدثاً جيداً يا ستيفاني. كما أنه ليس لدي فكرة عن الحياة الزوجية أكثر مما لدينا، فأنا لم أر سوى زواج إدي وكلير، وكانا يتشاجران على الدوام. كانت شقية في المزرعة، بينما كان هو لا يستطيع العيش في المدينة. ففكرت في أننا متلائمان حيث انك من الأرياف ومعتادة على المواشي، ولا تحلمين بالثياب الجميلة والرحلات إلى المدينة.»

فقالت: «إننا متلائمان حقاً.» ذلك أن آخر شيء كانت تفكر فيه هو أن يظنها شقية مثل كلير. وتابعت: «ولكنك كنت بعيداً عني أثناء رحلة المخيم.»

فقال: «بعيد؟ كنت أشتغل فأنا لم أخرج في هذه الرحلة لأجل المتعة يا ستيفاني. لقد كان عملاً وبجانب هذا فقد أردت استغلال تلك الرحلة لمساعدتك. لقد جعلتك تسيرين مع

جدي لكي يعرف الواحد منكما الآخر بشكل أفضل. لقد أذهلني حقاً عندما انحاز إليك أثناء العشاء تلك الليلة رغم أن هذا ما كنت أتمناه على الدوام.»

فقالت: «ثم جعلتني مرافقة لإدغار. لماذا كان عليّ أن أذهب معه.»

فابتسم قائلاً: «كنت تريدين أن تكوني معي، أليس كذلك؟» وعندما أومأت برأسها لمعت عيناه، ثم قال: «إن بامكان إدغار أن يخبرك بكل شيء عن المزرعة وكيف تسير الأمور من وجهة نظره. كما أن ذلك يعطيه فرصة لمعرفتك.»

قال: «لقد ابتدأنا بتشكيل روابط تدوم مدى الحياة. فنحن متزوجان ونحن نربي سارة. ونحن متلائمان.»

فاكتسحتها الموجة المعتادة من الدفء. إنهما فعلاً متلائمان وفي كل الأوقات. لشد ما تحبه.

سألها وعيناه على الطريق: «ماذا تريدين أكثر من هذا يا حبيبتي؟»

قالت: «ربما ما أريده هو الحب.»

فقال ببساطة: «إذا كان ما تريدينه هو الحب، فإن لديّ قلباً مليئاً بالحب لك، يا حبيبتي.»

www.rewayti.net

الفصل الثاني عشر

أوقف الشاحنة ببطء إلى جانب الطريق، مبقياً الأضواء منارة، ثم أطفأ المحرك واستدار ينظر إليها. إنه يحبها. وهمست: «آه، يا ألبرت كم أحبك. إنني لا أستطيع أن أصدق أنك تحبني. لقد كنت مستميتة شوقاً إلى حبك هذا ولكن لم يكن يبدو عليك أيّ تغيّر عما كنت عليه منذ اليوم الأول.»

فقال: «ربما السبب هو أنني وقعت في حبك منذ اليوم الأول ذاك. منذ رأيتك تهبطين من طائرة برينس.»

فهمست قائلة: «أظن أنني أنا أيضاً وقعت في غرامك تلك اللحظة، ولكنني تأكدت من مقدار حبي لك، عندما وصلت ساندي. لقد شعرت ببالغ الغيرة منها، ولكنني كنت خائفة من أن أكون مثل أمي. فقد سبق وظننت أنني أحب مايكل. إن ما أشعر به نحوك هو أقوى كثيراً وأكثر دواماً، كما أنه مختلف نوعاً ما. حتى ستيفن لم أشعر نحوه بكثير من المودة. كما أن أياً من رجال المزرعة لم أر فيه أي جاذبية خاصة. لا يمكن أبداً أن أحب شخصاً آخر كما أحبك.»

فقال: «إنني مسرور لسماع ذلك يا حبيبة. لم أكن في البداية واثقاً من شعوري أنا أيضاً، إذ كلما حاولت الاقتراب منك، أراك تبتعدين عني. كنت خائفاً من استعجال الأمور.»

فقالت: «هذا لأنني كنت اعتقد بانك لا تثق بالحب. فقد كنت تكرر ذلك. لماذا لم تخبرني؟»

فأجاب: «لم أكن أدري متى أوقعني الحب. ولكن التفكير

بك وبستيفن أوجد في نفسي من الغيرة ما أوجدته ساندي في نفسك. كنت خائفاً من أن تهربي معه. هل تشعرين ببرد؟»

فهزت رأسها قائلة: «كلا ما دمت معك.» كان قلبها يتفجر بالسعادة.

وعاد هو يقول: «منذ أول لحظة رأيتك فيها، شعرت بانجذاب نحوك. لم تكوني أبداً كما توقعتك من وصف عمتي كاثرين لك. لقد أعجبت بك منذ البداية.»

فقالت: «و أنا كذلك. لكنني ظننت هذا من ناحيتي فقط. لقد أحسنت إخفاء الأمر عني.»

فقال: «من يقول هذا؟ الآنسة التي تقول دوماً انتظر بعد؟ كنت ظننت أنك أتيت إلى غرفتي تلك الليلة لتبقي معي، ولكن كل ما كنت تريدين هو مفاتيح السيارة. صدقيني لم أستطع النوم تلك الليلة.»

قالت: «إننا، في حالتنا هذه لن نصل إلى ما نريد مطلقاً.»

وبعد فترة، ابتدأت ستيفاني تقول: «بالنسبة إلى ساندي...»

فقاطعها قائلاً: «سنرسلها إلى بيتها غداً. إنني لا أدري متى تعود إلينا، ولكنها ستزورنا من وقت لآخر يا ستيفاني فهي خالة سارة، وأنا أريد أن تتعرف سارة إلى كل أفراد عائلتها.»

فقالت: «أعلم هذا.» وتنهدت. إنها ستكون مرتبطة بساندي إلى الأبد. ولكن وجود سارة يستحق ذلك كما أن ستيفاني تعلم الآن أن بإمكانها من الآن فصاعداً مواجهة ساندي بمقدار أكبر من الشجاعة، والثقة بحب ألبرت.

قال: «عندما تكبر سارة قليلاً، سنسمح لها بزيارة جديها وخالتها في ملبورن.»

www.rewayti.net

فقالت: «لقد كانت ساندي ذكرت شيئاً كهذا.»

فقال: «عندما ننتهي من الاوراق القانونية، ولا يعود علينا أن نقلق بالنسبة إلى معركة الوصاية، عند ذلك نسمح لها بالزيارة، ولكنها ستكون دوماً ابنتنا الصغيرة.»

فتمتمت ستيفاني: «إنها شخص آخر وقعت في حبه لأول مرة.»

وقالت له: «إنني لا أصدق أنك أحضرت لي ورداً. لا بد أنك قطفتها تحت المطر.»

فهمهم بالإيجاب.

فسألته: «لماذا؟»

بقي صامتاً مدة طويلة، ثم هز كتفيه قائلاً: «ربما يحسن أن تعلمي هذا أيضاً، لقد ثارت ثائرتي عندما دخلت المنزل وأخبرتني ساندي أنك ذهبت إلى المدينة لرؤية ستيفن وأنت تعلمين شعوري نحوه، عند ذلك وقبل أن أخرج لأعيدك إلى المنزل، قال لي جدي انك اتصلت هاتفياً وأخبرته أنك غير راجعة كما أنه سمع شيئاً عن ستيفن كذلك.»

فقالت: «إنه لم يسمع تماماً ما قلته لأن الخط كان سيئاً. لقد قلت إن ستيفن أقفل الطريق.»

فقال: «هذا صحيح، ولكنني لم أكن أعرف هذا حينذاك، وهكذا أصابني الجنون.»

فارتجفت وهي تتصوره غاضباً وتابع هو يقول: «ولكن جدي أوقفني قبل خروجي قائلاً إن النساء يحببن الأشياء الشاعرية ويحتجنها، ثم سألني أين هي الشاعرية في علاقتنا. حتى أن رجلاً غريباً مثل ستيفن أحضر لك أزهاراً.»

فسألته: «هل لأجل هذا ذهبت تحضر لي أزهاراً؟»

فأجاب: «لقد فكرت أثناء الطريق، في قوله هذا عندما خفت سورة غضبي، فكرت في خلوّ حياتك معي من الشاعرية. لقد وصلت من بلدك لتنغمسي على الفور في أعمال البيت. لقد ذكرت مرة أننا لا نحظى بفترة انفراد. وكانت هذه نفس الشكوى التي كانت كلير ترددها. تذكرت السعادة التي بدت عليك عندما تلقيت الورود تلك. عند ذلك فكرت أن في إهدائي إليك شيئاً من الورود تسهل عليّ أمر مجيئك إلى المنزل.»

فقالت بجفاء: «إذن، فقد كنت تقصد بها عودتي إلى المنزل؟»

فقال: «بطبيعة الحال، فأنت زوجتي.»

سألته: «هل كنت تعلم أن الورود الحمراء تعني الحب؟»

أجاب: «طبعاً. وأريد أن تكون ورودي هي الوحيدة التي ستتلقينها في المستقبل. سأشتري لك دزينة من فسائل الورد تغرسينها فتزودك بالورد يومياً في حياتك إذا شئت.»

فقالت وهي تشعر بالسعادة تطفح من كيانها: «إنني أريدك أنت يومياً في حياتي، أكثر بكثير مما أريد الورد.»

فقال: «ستحصلين على هذا، يا حبي الوحيد. ستحصلين على هذا. هل تقبلين أن تنجبي مني أطفالاً، يا ستيفاني؟»

فابتسمت وهي تومىء برأسها قائلة: «طبعاً.» ما أروعه من أب، وهو الزوج المدهش. ما الذي سيسفر عنه حبهما أكثر من هذا بعد أن أدركا عمق المشاعر التي تجمعهما؟

وخطرت ببالها أمها، وكلير وحتى والدة ألبرت. إنها لن

www.rewayti.net

تكرر حماقاتهن تلك. إنها ستتمسك بحبها وزوجها إلى الأبد، مستمتعة بقوة الحب والالتزام الذي يجمعهما.

وارتفعت عيناها إلى زوجها، ثم أخذت تحدق مبهورة إلى مياه المطر التي كانت تنساب على الزجاج الأمامي. لقد كان يوماً رائعاً.

الخاتمة

جدتي العزيزة،

ها أنذا أخيراً أرسل الصور التي كنت وعدتك بها. الأولى هي صورة ألبرت، أليس رائعاً؟ إنني في غاية السعادة يا جدتي. لقد كنت نفيت وجود الحب بعدما رأيته من مايكل، ولكن ألبرت أثبت لي أنني مخطئة. لم تكن لدي فكرة قبل الآن عن هذا الاحساس الرائع الذي يمكن أن تصل إليه الحياة. إن حبي له دون حدود، وكذلك حبه لي. وأنا أعلم ان سعادتي هذه ستدوم طوال عمري. لقد تحدثنا عن اتخاذ منزل مستقل لنا، ولكننا عدنا فصممنا على البقاء مع الجد. إنما منعه ألبرت من الدخول إلى المطبخ بعد العشاء. آسفة ان هذه نكتة خاصة بنا، أنا وألبرت.

الصورة التالية هي لابنتنا ستأخذ القضية أسابيع قليلة فقط تصبح بعدها الحضانة حقيقة واقعة. لقد ابتدأت تتحدث الآن عن كل شيء، ولكنني لن أغير شيئاً من ألفاظها، وكل ما أتمناه هو أن يأتي أولادنا بمثل حلاوتها.

نعم، إن جيلاً آخر هو في طريقه إلى العالم لكي تفيضي عليه حبك واعزازك. أرجوك أن تسرعي بالشفاء لكي تكوني هنا فتحضري الحدث السعيد. وهو سيكون في الربيع حيث البراري في هذا الفصل رائعة الجمال. إن ألبرت يتمنى بنتاً فقلت له ان ليس بإمكاني أن أعده بذلك، ولكنه عاد فقال ان هذا ليس مهماً.

منتديات روايتي (علا رضوان)

www.rewayti.net

الصورة التي بعد ذلك هي للفرس التي اشتراها ألبرت لي، ويبدو المنزل خلفها. أما الأخيرة فهي صورة الجد. أظنه ابتدأ يعتقد بأنني مصممة على البقاء، وهو سعيد لسعادة ألبرت وكان هذا سبباً جعله يقبل بي. من يدري، ربما بعد سنوات قليلة تصبح لهجتي استرالية ما يجعله يتوقف عن تسميتي الأميركية التي تزوجها ألبرت.

إنني مشتاقة إليك يا جدتي. ولكنني لن أغير شيئاً في حياتي رغم المسافة التي تفصل بيننا انني الآن، بعد أن علمت بحب ألبرت لي، بإمكاني أن أواجه كل شيء، حتى ساندي. هذه أيضاً نكتة عائلية أخرى خاصة.

إنني بغاية السرور لتقدم صحتك، وأتمنى أن تتماثلي إلى الشفاء قريباً، فأنا لا أستطيع انتظار حضورك إلى هناك ورؤية كل شيء وترين ألبرت الذي ستحبينه جداً.

تقبلي حبي.

ستيفاني

انتهت

www.rewayti.net